الفصل الرابع

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الملامح الجديدة لمشروع النهضة الإسلامية

- تطور الفكر الحركي الإسلامي في اليمن.
- الحركة الإسلامية في الجزيرة العربية والخليج .
- الأحزاب الإسلامية السياسية في شمال أفريقيا .
- الملامح السياسية للتيارات الإسلامية في بلاد الشام.
- الدور الحركي للجبهة الإسلامية القومية في السودان.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الملامح الجديدة لمشروع النهضة الإسلامية

الحركة الإسلامية ظاهرة تاريخية "تبرز كلما اعترى المسلمين ذبول في دوافع الإيمان، وخمول في الفكر وجمود في الحركة، واستفزهم التحدي الخارجي"[1] كما غدت الحركة الإسلامية تياراً فكرياً منظماً وظاهرة اجتماعية واسعة الانتشار مما جعلها تتحول إلى حركة تجديد حضاري تستنهضها إلى ذلك حالة التخلف التي تعيشها اليوم مجتمعاتنا وتستفزها العوائق التي يضعها الغرب كنظام عالمي في طريق نهضتنا[2].

واستمدت الحركات الإسلامية في الساحة العربية خصوصياتها الفكرية من حركة الإخوان المسلمين التي نشأت في مصر في الثلاثينات من القرن العشرين.. وجاءت الحركة الإسلامية باليمن امتداداً لذلك الحراك، وبدأت باليمن في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، كما أن لجماعة الإخوان المسلمين دوراً واضحاً في الحركة الانقلابية عام ١٩٤٨م، والتي أطاحت بالإمام يحيى حميد الدين.

وفي الخليج والجزيرة العربية امتد نشاط حركة الإخوان المسلمين من خلال الطلاب الذين تلقوا علومهم في مصر، وزاد من إنتشار الحركة الإسلامية هزيمة يونيو ١٩٦٧م.. وانتقل النشاط الإسلامي إلى بلاد الشام ــ سوريا ــ لبنان ــ الأردن ــ فلسطين.

---

1) د. حسن عبدالله الترابي : الصحوة الإسلامية والدولة القطرية في الوطن العربي، منبر الحوار، العدد (٨)، شتاء ١٩٨٧، ص٩.

2) علي سيف النصر : الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإنسانية، المستقبل العربي، العدد (١٧٠)، عام ١٩٩٣، ص١١٦.

وفي شمال أفريقيا برزت الحركة الإسلامية في تونس من خلال حزب النهضة الإسلامية، والجزائر بجبهة الإنقاذ الإسلامية، كذلك المغرب العربي حيث تعددت التوجهات الدينية فيها من صوفية وسلفية.. إلخ .

أما الجبهة الإسلامية القومية في السودان فقد حققت نشاطاً سياسياً كبيراً.. وتحاول الأحزاب المعارضة أن يكون لها دورٌ في المشاركة السياسية بحكم تاريخها النضالي في السودان، فهل ستحقق نشاطاً سياسياً منافساً للجبهة الإسلامية القومية؟

إن الحركة الإسلامية الممتدة في العالم الإسلامي والعربي أصبحت ظاهرة تفرض نفسها كقوة مهددة للأوضاع السياسية الحاكمة في تغيير بنيتها وتوجهاتها.. ويمكن توضيح ذلك من خلال المحاور التالية:

تطور الفكر الحركي الإسلامي في اليمن:

عاشت اليمن ردحاً من الزمن تحت النفوذ العثماني بين والٍ جاهل أو ظالم.. وقائد عسكري عنيف يمارس كل أساليب التعسف والإرهاب.. بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م سلمت السلطات العثمانية باليمن مقاليد الحكم للإمام يحيى حميد الدين، الذي بايعته القبائل الشمالية للإمامة عام ١٩٠٤م وبعث لزعماء القبائل في جنوب صنعاء حتى حدود عدن لمبايعته.. فعقد بعض زعماء هذه المناطق مؤتمراً في منطقة "العماقي" ـ بين تعز وإب ـ واختلفوا بتوحيد كلمتهم، ثم توجهوا جميعاً إلى صنعاء وبايعوا الإمام يحيى في المنشط والمكره، ثم عادوا وعقدوا مؤتمراً آخر في مدينة "القاعدة" ناقشوا الوضع السياسي والمستجدات الجديدة، ثم أعلنوا اتفاقاً غير مكتوب.. وكان من نتائجه تمرد مشايخ العدين ومشايخ حبيش والحجرية (المقاطرة) بوجه خاص.

فأرسل الإمام قوة بقيادة الأمير "علي الوزير" الذي انتقم للإمام بهدم منازل مشايخ حبيش بعد معارك ضارية، ثم توجه نحو العدين ودخل "تعز" وأهان أبرز

شخوصها. ثم وجد نفسه مضطراً للقضاء عليهم فبعث إلى مشايخ "العدين" ومشايخ "تعز" وأمر بسجنهم وتعذيبهم ثم بعث بهم إلى صنعاء بعد أن أطلق سراح عامل "تعز" كونه من آل البيت، وعند وصولهم إلى صنعاء تم إيداعهم السجن، وماتوا كلهم ولم يبق منهم حياً إلا الشيخ "عبدالوهاب نعمان".

وتشير المعلومات أيضاً إلى أن ابن الوزير صادر كل ممتلكاتهم وأخرج "نساءهم وأطفالهم مجردين من كل شيء وجعلوا البيوت ثكنات للجند ونقلوا كل ما جل وقل، ولم يكتفوا بذلك بل ظلوا ينقرون جدران البيوت ليخرجوا بقية الكنوز" ثم حفروا فناء الدور ولم يتحصلوا على شيء[1].

تلك كانت مقدمات الخروج عن السلطة.. إلا أن الإمام يحيى كان يحمل مشروعاً سياسياً وحدوياً، وكان التمرد في ذلك الحين ليس له مبرر منطقي، بل يعتبر عملاً إنفصالياً بصرف النظر عن رؤية الإمام لمفهوم الدولة. وكانت الضرورة تقتضي محاسبة الخارج ين بصورة أفضل من إجراءات ابن الوزير.

إلا أن ابن الوزير له الفضل في إرساء قواعد وحدة تراب اليمن في المناطق الجنوبية وبدأ الإمام يحيى يمارس حكمه بطريقة بدائية مما أوجد نوعاً من الممارسات إلخاطئة التي قام بها أبناؤه، ولذلك يناشد القاضي "عبدالرحمن الإرياني" الإمام يحيى بقصيدة جاء فيها :

أنصف الناس من بنيك وإلا ❖❖❖ أنصفتهم من بعدك الأيام

وبدأ المثقفون يطالبون الإمام بإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية، ففي منتصف الأربعينيات بدأت أصوات المعارضة ترتفع وخاصة بعد هزيمة الإمام يحيى في حربه مع النظام السعودي عام ١٩٣٤م. وبدا عامل الإصلاح أمراً ضرورياً لكن الفوضى بدأت تضرب أطنابها في كل بقاع الدولة،

---

1) انظر : مركز الدراسات والبحوث، ثورة ١٩٤٨.. الميلاد والمسيرة والمؤثرات، بيروت، دار العودة، ط١، ١٩٨٢م، ص ٥٨٨ .

فتمردت قبائل الزرانيق في تهامة وبدأت المواجهة العسكرية مع الزرانيق التي أدت في النهاية إلى انتصار الإمام يحيى بقيادة ابنه الأمير أحمد، وكانت رغبة الأمير أن يحوز على جائزة انتصاره بولاية العهد، وهي مسألة مغايرة للمفهوم الديني الزيدي بوجه خاص، ومن هنا بدأ الصراع بين مؤيد لفكرة ولاية العهد للأمير أحمد، وبين رافض مبدأ الوصاية بالإمامة.

وتكونت جبهة معارضة للإمام سميت "بالجمعية اليمنية الكبرى" تكونت في ٤ يناير ١٩٤٦م، وجعل مركزها الرئيس مدينة عدن. ومن أغراضها دعوة أبناء اليمن إلى الإخاء والتعاون والاتحاد وتبادل الثقة فيما بينهم، والإرشاد إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأعظم والعمل بهما، ونشر الثقافة بين الجاليات اليمانية وتوجيهها إلى ما يجب عليها دينياً وأخلاقياً وثقافياً واجتماعياً، كذلك الاتصال بالهيئات العربية لتوجيه الجمعية ومساعدتها[1].

وتوجهت الجمعية بمذكرة إلى أمين عام الجامعة العربية "عبدالرحمن عزام" طالبت المذكرة تدخل الجامعة العربية بالمبادرة بإيفاد بعثة عربية إلى اليمن لتدرس الشؤون العامة هناك.. ويشعره بأن له من إخوانه العرب ما يعزيه في مصابه ويجامله في محنته.. ولو كزيارة القبور لاجزع ولا ضجيج ولا مؤامرة ولا مظاهرة ولكن عين تدمع وقلب يخشع.

وهذا المطلب ما نحسب أن في ألاعيب الحكومة المتوكلية وحيلها وأساليبها ما يمكن أن يحول بين الجامعة وبين تنفيذه والقيام بتحقيقه على وجه السرعة اللهم إلا أن يكشف سيوف الإسلام صفحتهم السوداء للعرب

---

1) د. عبدالله الذيفاني: الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنيين ١٩١٨- ١٩٤٨م، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني،ط١، ١٩٩٩م، ص٣٠٦.

وللجامعة العربية ويقاطعوا العرب المقاطعة الصريحة المكشوفة ويمنعوا العرب من دخول بلادهم.

إن مما يدمي قلب كل عربي غيور أن تكون الدول الأجنبية أسبق من الجامعة العربية إلى دراسة الوضع اليمني الراهن وأحرص على كشف كنوزه ومخبآته.. فما بال الجامعة تتردد وتسوف وهي مفزع الشعب اليماني وأمله المشرق في هذا العالم المظلم، وما بال العرب لا يهتمون بهذا الشعب ولا يزورونه ولا يتحدثون عنه في صحفهم، ولا مواقفهم الرسمية.. في اليمن زعماء لهم نفوذ على القبائل اليمانية وفيهم وطنية وعروبة وإخلاص وهم في اليمن تحت الرقابة المزعجة الخطرة وبعضهم في المنافي والسجون، وبعضهم مهاجرون في الخارج [1].

وحددت المذكرة أهداف الجمعية وتتمثل بالإصلاح السياسي مستعينة بدعم الجامعة العربية.. ويعد ذلك الحراك السياسي جزءاً من قوى معارضة متعددة التوجهات الفكرية في الداخل والخارج .

وفي منتصف أكتوبر ١٩٤٦م توجهت جماعة من المغتربين اليمنيين في بريطانيا ـ سميت بلجنة الدفاع اليمني ـ بنداء إلى العالم وإلى جامعة الدول العربية وملوك وأمراء العرب تناشد الجميع بالتدخل بينها وبين الإمام يحيى وأبنائه الذين جعلوا اليمن تسير بسرعة إلى الفناء، وحكموا على الشعب بالانقراض، ولقد توفي في مدة عامين ما يزيد عن مليون نسمة من أبناء هذا الشعب من شدة الجوع والأمراض الفتاكة[2].

---

1) مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٥٦٤- ٥٦٦.

2) من "وثائق الحكيمي" : نقلاً عن : ثورة ١٩٤٨ م، الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٥٧٢- ٥٧٣.

هذه الأنات التي جعلت الأمير إبراهيم ابن الإمام يحيى ينضم إلى حركة الأحرار اليمنيين والذي صرح عقب وصوله إلى عدن أن الدافع الرئيسي لانضمامه لقوى المعارضة هو خصامه مع والده وأخيه الأمير أحمد بسبب عدم اعترافهما بخطورة الوضع السياسي المنهار، والذي سيقود حتماً إلى سقوط بيت حميد الدين[1]، وحافظ الأمير إبراهيم على مراسلة أبية وأخوته الأمراء وخاصة الأمير أحمد، ففي إحدى رسائله إلى أبيه يدعوه إلى النظر في السياسة المتبعة التي أدت إلى ظلم الحكام لسبعة ملايين يمني.. وأنه ضد هذا الجور والظلم الذي لا يعبر عن حاجات الشعب بل إنه يولد النقمة على الإمام[2].

وتكونت جبهة أخرى من كبار علماء صنعاء برئاسة "السيد زيد بن علي الديلمي" تبنت تقديم النصيحة للإمام يحيى تمثلت بجعل الواجبات المالية أمانة على أربابها كالواجبات البدنية، وإسقاط الجبايات الجمركية والمنهى عنها شرعاً مثل المكوس وزكاة الباطن والضرائب والتي تسمى "عائدات بيت المال" وإعفاء الرعايا عن البقايا المزمنة، ومنع كل ذي سلطة من سيوف الإسلام والأمراء والعمال عن إلخوض والتدخل بالتجارة في الرعية ومزاحمة الناس بالمناكب في معايشهم ومكاسبهم وإخراج المعتقلين من سجن "حجة"[3] أدى ذلك ألى أن يقوم الأمير إبراهيم بتوجيه نداء إلى الشعب اليمني جاء فيه:

" يا علماء الأمة إن الحالة في اليمن لا تطاق بعد اليوم أبداً، وإن السكوت على ما نسمع ونرى في كل صبح ومساء جريمة وأي جريمة، وأنتم تعلمون أنه ليس لمسلم يؤمن بعدل الله أن يسكت على هذا الظلم وكيف بكم وأنتم

---

1) وليغ جيراسيوف أوليف : الثورة اليمنية قضايا وآراء، نقلاً عن ثورة ١٩٤٨، مرجع سابق، ص٣٠٦.

2) راشد البراوي : اليمن والانقلاب الأخير، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٢٨.

3) مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة ١٩٤٨، مرجع سابق، ص٥٦٢.

العلماء ورثة الأنبياء الذين أوجب الله عليهم قبل غيرهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وينذروا الظالمين ويبنوا للناس أحكام هذا الدين(١).

وتظل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوثيقة الأكثر تعبيراً عن تأثير الإخوان المسلمين في حركة الأحرار اليمنيين، وبرنامجها الذي يحمل عنوان "ماذا نفعل" وضعه مؤسسو الكتيبة الأولى في القاهرة. في الوقت ذاته كان الإخوان المسلمون في مصر أشبه بحركة أممية، وعملوا على تأسيس فروع في كل دولة عربية وإسلامية.. فهل كانت اليمن إحدى المحطات التي بدأت بإرساء أحد فروعها؟.. لقد أوحت الرسالة التي بعثت بها الجمعية اليمنية الكبرى والتي اتخذت قرار تفويض للأستاذ حسن البنا ليكون الناطق باسم الجمعية في جامعة الدول العربية والمحافل الدولية الأخرى(٢) يفسر لنا ذلك مدى الاقتراب من الإخوان.

كما وجه خطاب آخر إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، أشار الخطاب إلى التفويض للمرشد العام للإخوان المسلمين.. وجاء فيه :

---

1) نفس المرجع : ص٦١١.

2) صحيفة "صوت اليمن" العدد [٥] ٦ نوفمبر ١٩٤٧م، الموافق ٢٣ ذي الحجة ١٣٦٦هـ (عدن – الخميس)،ص١، ونص التفويض على النحو التالي : "حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا.. بعد التحية والإكبار نعلن إلى فضيلتكم أنه بما أنكم تعتبرون العالم الإسلامي كله وطناً لكم وتعتبرون كل قضية من قضاياه موضوعاً صميماً لجهادكم، وبما أنكم قد أطلعتم على كنه القضية اليمنية، وعرفتم رجالها وعطفتم عليها عطفاً كبيراً.. فإنه مما يشرف الجمعية اليمانية الكبرى أن مجلس لجنتها السياسية القانونية المختصة قرر تفويض فضيلتكم بصورة عامة وشاملة في أن تتحدثوا باسم الجمعية اليمانية الكبرى أمام الجامعة العربية وأمام غيرها من سائر الهيئات والحكومات كزعيم مطلق التصرف، والجمعية اليمانية الكبرى تعتبر تفضلكم بقبول هذا القرار تضحية كبرى من جهتكم، وشرفاً عظيماً لقضية الأحرار اليمانيين، فيأخذ الله بيدك أيها الزعيم الإسلامي الكبير. والسلام عليكم ورحمة وبركاته"..

"ونذكركم بقضية اليمن التي نعتقد أنها تمتاز عن القضايا العربية الأخرى بأنها لا تحتمل التأجيل بأي حال، ولأنها تتعلق بشعب فقد كل أسباب المقاومة".."إن الأحرار اليمنيين يضعون قضيتهم بين يدي ضميركم العربي النبيل".. وتضيف الرسالة إلى أن "فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين مطلع على القضية اليمنية.. والجمعية اليمانية الكبرى تفوضه تفويضاً تاماً في أن يتحدث عنها في كل شأن من الشؤون كزعيم مطلق التصرف فيها" [1].

كان المفهوم التنظيمي لدى الأحرار اليمنيين هو إلخلاص من حكم الإمام يحيى وأبنائه، وإقامة حكومة تحتكم لأبسط المعايير الإنسانية، فالظروف التي خضعت لها اليمن كانت قاسية والعقلية الحاكمة تنظر للشعب بأكمله بأن عليهم الطاعة، ودفع ما يفرض عليهم من ضرائب وزكاة فقط...

كان المشروع السياسي للإمام يحيى في البداية يحمل شعار وحدة الأرض وتطور المجتمع من خلال القرارات المنتظمة فتح كلية الطيران والمدرسة الحربية والشرطة، وشراء طائرات ومعدات عسكرية، وإرسال بعثات عسكرية ومدنية للدراسة في الخارج ، إلا أن هذا المشروع لم يستوعب الطاقات الشبابية المتعلمة وكذلك كانت شيخوخته تفرض عليه التوخي والحذر من الفكر الوافد إلى الداخل.

وأعلن الأستاذ حسن البنا موافقته القيام بهذه المهمة، فبعث برسالة للأمير سيف الحق إبراهيم، وللأحرار اليمنيين جاء فيها : ".. وإني لأشكر لسموكم وللجمعية اليمانية الكبرى من كل قلبي ما أوليتموني من ثقة وأحطتموني به من ظن جميل، معتقداً أني أضعف من أن أنهض بهذا العبء

---

1) نفس المرجع : ص١.

الثقيل إلا بفضل الله تبارك وتعالى وجميل تأييده، وأرجو أن يعينني الله على أن أكون عند حسن ظنكم"[1].

ويشير "الصايدي" إلى أن الطلاب المبتعثين بمصر تحققت علاقة الإخوان المسلمين بحركة المعارضة اليمنية منذ بداية الأربعينيات وكلف مكتب الإرشاد "الفضيل الورتلاني" بالنشاط مع الطلبة اليمنيين وتجاوزت العلاقة من النصيحة إلى الدعم المادي، مكن هذه الحركة من النشاط الإعلامي، فأصدرت صحفاً ومنشورات علنية، وفتح الإخوان صحفهم لشن حملات دعائية ضد نظام الإمام باليمن.

وفي عام ١٩٤٧م تم إرسال الفضيل الورتلاني إلى اليمن بقصد تنشيط حركة المعارضة والإعداد لإدخال تعديلات في شكل الحكم عندما يتوفى الإمام يحيى [2]، وتمكن الفضيل الورتلاني[3] ـ بصفته قدم إلى اليمن لفتح شركة تجارية استثمارية ـ أن ينتقل بحرية داخل البلاد وإلى الخارج ، مما جعله يشكل ضابط اتصال بين قوى المعارضة في الداخل والمعارضين في الخارج [4].

وبعث الإخوان بمصر إلى اليمن بمدرسين للقيام بالتعليم وهو عمل يراد منه تأسيس فرع للإخوان باليمن، ويبدو أن الدور الذي لعبه المدرسون انصب في مسألة محو الأمية بالدرجة الأولى، وكان للإمام عيون تحيط بالمدرسين

---

1) صوت اليمن، نفس العدد السابق، ص١.

2) د. أحمد قايد الصايدي : حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى حميد الدين ١٩٠٤-١٩١٨م، بيروت، دار الآداب، ط١، ١٩٨٣،ص١٤٧.

3) انه الأستاذ حسن بن محمد الفضيل الورتلاني، ولد في قرية (آنو) ببلدة (بني ورتلاني) ولاية سطيف بالجزائر في عام ١٩٠٧، وتوفي إلى رحمة الله في تركيا (١٠ مارس ١٩٥٩م).. انظر حميد أحمد شحره : مصرع الابتسامة، سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن ١٩٣٨- ١٩٤٨م، مرجع سابق،ص١٦٧.

4) د. الصايدي : المرجع السابق، ص١٤٧.

مما أدى إلى تحجيم دورهم السياسي المراد القيام به، إلا أن المتعلمين اليمنيين قد انبهروا بالقدرات التعليمية للمعلمين المصريين وتأثروا كثيراً بمناهجهم إلا أن الحاجز المذهبي يبدو أنه عمل على عدم الإسراع بالانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين السنيين، فالتركيبة القبلية باليمن تحتكم إلى عصبية مذهبية قوية خاصة في إطار المفاهيم التعبوية لدى القبائل للفكر الزيدي منذ عهد الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

إلا أن المدرسين العاملين في "تعز" كان لهم نشاط ملموس وقوة تأثير بطلابهم أدى ذلك إلى اتهام الأمير أحمد بن الإمام يحيى بتدخل المدرسين بالشؤون الداخلية لبلاده، وأسفرت التحقيقات عن براءتهم وعادوا إلى مصر..

وفي أواخر عام ١٩٤٧م توجه الأمير محمد البدر بن الأمير أحمد إلى مصر، والتقى بالشيخ حسن البنا، واتفقا على أن يسعى الأمير البدر لطلب بعثة مصرية للتدريس في اليمن، ويقوم الإخوان المسلمون بتلقف الطلب من وزارة المعارف المصرية.. وتم إرسال مجموعة من المدرسين من جماعة الإخوان المسلمين[1]. وكان لهم نشاط دعوي ديني مما أكسبهم احترام معظم المحيطين بهم من السكان، ولذلك كان بمقدورهم التأثير السياسي على جزء من المتعلمين.. ونجح الشيخ الورتلاني في مهمته الدعوية والسياسية. والتقى بقيادة الحركة في كل من صنعاء وإب وتعز، كما التقى كذلك الإمام الذي طلب منه القيام بإعداد تقرير عن الاقتصاد اليمني.. وفي أغسطس ١٩٤٧م عاد إلى اليمن لتسليم التقرير وقد عرج إلى عدن حيث قضى بضعة أيام عقد أثناءها محادثات مع النعمان والزبيري.

---

1) حميد أحمد شحره : مصرع الابتسامة، سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن، ١٩٣٩-١٩٤٨، المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، ط١، ١٩٩٨م.

"وكان أول مشكلة يواجهها الأحرار اليمنيون الثوار تتمثل في اختيار مرشح يخلف الإمام يحيى، وكانوا يحتاجون إلى شخصية تقليدية قوية تتوفر فيها المعايير الضرورية للإمامة الزيدية، ومن ثم يحظى باحترام الشعب"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كان للفضيل الورتلاني ـ المطلوب للعدالة من قبل دولة الإمام أحمد بعد اغتيال والده الإمام يحيى ـ دورٌ في حركة ١٩٤٨م ؟.. يجيب "الورتلاني" بنفسه على ذلك بالقول : "..إنني لا أنتمي إلى أية هيئة أو إلى أي حزب في مصر اللهم إلا عضويتي في الاتحاد العربي، ولقد كنت ضيفاً في اليمن أيام أن جرت حوادث اغتيال الإمام الراحل ولا علم لي بهذا الذي يقال عن.."[2].

لكن لا يمكن استبعاد "الورتلاني" عن قضية الانقلاب، وقد كان له دورٌ كبيرٌ في الإسهام في تحديد شكل النظام لمستقبل اليمن من خلال "الميثاق الوطني المقدس" الذي كان المرجعية الدستورية لشكل الدولة اليمنية.. ويمكن الجزم بالقول إن جماعة "الإخوان المسلمين" قد أسهموا في تحريك فعالية حركة القوى المعارضة في الداخل والخارج لتغيير النظام.. لكنهم أخفقوا في تأسيس فرع في اليمن، وربما لأن القوى المهيمنة والمعارضة كانت تؤمن بتصحيح الفكر الزيدي خاصة لدى بيت الوزير، وليس تغيير منهجية الفكر الزيدي والمختلف أيديولوجياً مع جماعة الإخوان المسلمين.

وتفرض هذه المرحلة استفساراً عن ظاهرة الحركة الإسلامية، وكيف تم وأدها؟.. نلاحظ أن الحياة السياسية بعد مقتل الإمام يحيى وفشل الانقلابيين كان هناك متغير سياسي جديد، تمثل بحملة إعلامية حكومية على أن الإنقلابيين الدستوريين عملوا على اختصار "القرآن الكريم" فكانت

---

1) لي دوغلاس : الإعلان الكاذب عن وفاة الإمام يحيى "تعريب : بلقيس الحضراني"، ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص٢٥٣.

2) حميد شحره : المرجع السابق، ص١٢٣.

هذه الدعاية –كما يروي معظم المعاصرين لتلك الفترة – كفيلة بتصفية آثار ذلك التوجه الإسلامي الذي صنع الانقلاب وفشل بصنع استمرارية فكر الانقلاب.. وبعد مقتل أبرز رجال حركة ١٩٤٨م وأحد رجال ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م الأستاذ محمد محمود الزبيري عام ١٩٦٥م، بدأ أحد أنصار الزبيري هو الشيخ "عبده المخلافي" بتكوين فرع لتنظيم جماعة "الإخوان المسلمين" بتكليف رسمي من قيادة جماعة الإخوان المسلمين بمصر.

ونتيجة لطبيعة الموقف السياسي في عهد الرئيس الراحل القاضي "عبدالرحمن الإرياني" دخل الإخوان المسلمون في صراع مع السلطة، وكانوا مدعومين من قبل النظام السعودي، وتم تعيين "المخلافي" مراقباً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن، وكان "المخلافي" خطيباً مفوهاً، وكثير النقد للسلطة السياسية الحاكمة، بسبب التوجهات السياسية لنظام الإرياني في مسألة الوحدة بين شطري اليمن، وكانت السعودية لا ترغب بالتقارب الوحدوي، وكان التيار الإسلامي يعد طابوراً خامساً للنظام السعودي.. وفي ظل هذا الخضم من الصراع قتل الشيخ "المخلافي" في حادث مروري، وفسر الموقف على أنه تدبير من قبل حكومة الإرياني وربما الجبهة الوطنية ـ الماركسية ـ كانت وراء الحادث[1].

---

1) في الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ يونيو ١٩٦٨م جرت أعمال المؤتمر الاستثنائي لحركة القوميين العرب اليمنية في مدينة "جبلة" وأقر فيه تأسيس الحزب الديمقراطي الثوري اليمني وانتخب المؤتمر اللجنة المركزية للحزب وأقر برنامج العمل السياسي "القائم على أساس مبادئ الاشتراكية العلمية" وأعلن الحزب انفصاله التام عن حركة القوميين العرب في بيروت. كما قرر تشكيل "الجبهة الوطنية" للجمهورية العربية اليمنية، وتضم في صفوفها كل العناصر الوطنية التقدمية، ووضع وإعداد ميثاق وطني يكون دليل عمل الجبهة الوطنية. (انظر : جولوفكايا، يليناك : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية ١٩٦٢- ١٩٨٥م – تعريب : محمد علي البحر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٩٩٤، ص١٢٨).

ويمكن الإشارة إلى الدور الذي لعبه الإخوان المسلمون في عهد الإرياني، وخاصة في الفترة ما بعد المصالحة مع النظام السعودي، فقد استولت جماعة الإخوان ـ بدعم الحكومة السعودية ـ بالتدريج على الدور الرقابي في ميدان التعليم والثقافة "ودفعوا بصنائعهم إلى أجهزة الشرطة في مدن وأرياف الجمهورية العربية اليمنية" [1].

وتكونت في صنعاء فرق مسلحة والتي أخذت تسمى "الجبهة الإسلامية"[2] وجرت مصادمات عنيفة بين الإخوان المسلمين والقوى التي تنعت نفسها بالتقدمية تحت شعار "النضال ضد الإلحاد والشيوعية" كما جرت اعتقالات ضد البعثيين وأنصارهم وعلى الأخص في أوساط شباب البعث[3].

من جهة أخرى كون اليساريون فرقاً مسلحة في المنطقة الوسطى من اليمن "منظمة المقاومة الثورية" والتي أنشأها أعضاء سابقون في حركة القوميين العرب.. وواجهتها الجبهة الإسلامية في صراع مسلح، وكانت جبهة "المقاومة الثورية" لها صلة وثيقة بالحزب الديمقراطي الثوري وتبلور موقفهم إلى أسلوب حرب العصابات.

بعد الثورة الإسلامية الإيرانية زاد تأثير "الإخوان المسلمين" من عام لآخر وتواجد ممثلوهم وأنصارهم بشكل واسع في مجلس الشعب التأسيسي وفي الحكومة والجيش وأجهزة أمن الدولة. وكانوا متعاطفين مع العربية السعودية، وقد أطلق عليهم في ذلك الحين "العشيرة السعودية" كما كانت للإخوان صلات وطيدة مع القبائل "وعلى مدى سنوات عديدة بذل الإخوان

---

1) د. محمد علي الشهاري : دوائر العدوان السياسي السعودي ضد اليمن، نقلاً عن : إيلينا جولوفوفسكايا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص١٦٧.

2) تكونت الجبهة الإسلامية في نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات، وضمت الإخوان المسلمين إلى جانب الجماعات السلفية الوهابية.

3) إيلينا : المرجع السابق، ص١٦٨.

المسلمون جهوداً مضنية للسيطرة على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية في البلاد، وتمكنوا من تحقيق سيطرتهم في مجال التربية والمؤسسات التعليمية العليا"[1]. وفي نهاية السبعينات انتشرت "المعاهد الدينية" وانفجرت المصادمات بين الجبهة الوطنية الديمقراطية من جهة، والجيش والجبهة الإسلامية من جهة أخرى في منطقة قعطبة ـ لواء إب وتشير المصادر المعادية للجبهة الإسلامية إلى أن أعضاءها مارسوا الإرهاب في المدن وقاموا بعدة محاولات لاغتيال الضباط الوطنيين، كما تمادت إلى اتهام رئيس الجمهورية نفسه إذ اتهمته بالتساهل المفرط إزاء ممارسات وأنشطة الجبهة الوطنية الديمقراطية.

وفي ظل هذا التصاعد كانت الضرورة تقتضي التوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف، وفي مطلع الثمانينات أقر رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح مشروع "الميثاق الوطني" وشكلت من أجل ذلك لجنة من مجلس الشعب التأسيسي ومن خارجه ضمت مختلف الكفاءات والقدرات الوطنية وانبثقت من تلك اللجنة لجان فرعية شملت كل ذي اختصاص في اختصاصه، وتمخضت عن تلك اللجان لقاءات ساخنة وحوارات وندوات، وأسفرت تلك اللقاءات عن مشروع الميثاق الوطني، الذي قدم لرئيس الجمهورية والذي أحاله على المجلس الاستشاري لمناقشته، وبرزت من خلال النقاش ملاحظات جعلته مشروعاً أشمل، ثم طرح من جديد لمناقشته في اجتماع موسع ضم المجلس الاستشاري ومجلس الوزراء ومحافظي المحافظات وغيرهم من المسئولين في المؤسسات الرسمية العسكرية والمدنية والشعبية، وصوت الجميع عليه كمشروع يعرض على الشعب.

وحرصاً من القيادة السياسية فقد أصدر رئيس الجمهورية قراراً عام ١٩٨٠م بتشكيل لجنة الحوار الوطني والتهيئة للمؤتمر الشعبي.. وضمت

---

1) إيلينا : المرجع السابق، ص٣٤٢.

عناصر من ذات اليمين وذات اليسار لتقوم بعرض مشروع الميثاق الوطني على جميع المواطنين وتقصي آرائهم ووجهات نظرهم.

ومضت لجنة الحوار مستمرة في عملها ما يقرب من عامين، ثم كانت مرحلة العرض على الشعب لإبداء رأيه من خلال استبيانات تم تعبئتها ثم فرزها عن طريق لجان الحوار الوطني.. وعلى ضوء الاستبيانات تم إعادة صياغة مشروع الميثاق من ثم صدر قرار رئيس الجمهورية لعام ١٩٨١م بتحديد عدد أعضاء المؤتمر الشعبي العام بألف عضو يمثلون الشعب، على أن يتم انتخاب (٧٠٪) من أعضائه من قبل المواطنين (٣٠٪) يتم اختيارهم من قبل الدولة لمراجعة مشروع الميثاق الوطني.

وفي أغسطس ١٩٨٢م صدر قراران لرئيس الجمهورية، قضى الأول بتعيين (٣٠٩) في المؤتمر الشعبي ويقضي الآخر بالدعوة لانعقاد المؤتمر الشعبي العام من ٢٤- ٢٩ أغسطس ١٩٨٢م. واتخذ عدداً من القرارات الهامة والإيجابية، ومنها إقرار الميثاق الوطني[١]، وطغى على الميثاق فكر جماعة الإخوان المسلمين، فمن ناحية احتوى على تسجيل نظم الحياة السياسية للجمهورية وحدد مبادئ بناء الدولة والاتجاهات السياسية الداخلية والخارج ية، واستهدف الميثاق مسألة التنمية الإسلامية اليمنية ورسم اتجهات التحولات الاجتماعية في نطاق الوحدة الوطنية، والقائم على أساس العقيدة الإسلامية، وأكد الميثاق على تمسك المجتمع اليمني بالإسلام وقيمه الروحية والإسلام كعقيدة وشريعة "قاعدة الحكم" وعليه فالمجتمع اليمني يرفض كل نظرية في الحكم تتناقض مع عقيدته وشريعته الإسلامية "وأكد الميثاق على أن أي تبعية خارجية أيديولوجية تعتبر خيانة وإضراراً بمصلحة الوطن العليا"[٢].

---

1) مفاهيم من الميثاق الوطني، المؤتمر الشعبي العام (أمانة اللجنة الدائمة)، صنعاء، ص١٦- ١٨.

2) إيلينا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص٣٥٣.

وأعلن الميثاق انتهاجه الديمقراطية المباشرة، وأشار الميثاق إلى حاجة اليمن في المرحلة المعاصرة إلى أن الديمقراطية التي يؤمن بها الشعب اليمني هي الديمقراطية الإسلامية.. وتضمن الميثاق توصيفاً للنظام الجمهوري كنظام "ديمقراطي شوروي برلماني" وطبقاً لما نص عليه الميثاق فإن مبدأ الشورى يعني حق الشعب في اختيار قادته "حكامه" واعتبار خروج السلطة عن هذا المبدأ أو استخدام وسائل لا تتفق والأنظمة الإسلامية عملاً غير قانوني. وجاء في الميثاق بأن نظامنا الجمهوري يقوم على أسس دستورية واضحة "سلطة الشعب، العدالة، المساواة الاجتماعية البشرية واستقلال القضاء"[1].

ويعد الميثاق من الوثائق السياسية الهامة، ومشروعاً وطنياً نهضوياً عظيماً لو تم تطبيقه. صحيح لقد حقق برنامج الميثاق الوحدة الوطنية وهي خطوة عظيمة.. إلا أن استقلال القضاء لم يتم تطبيقه بعد.

من جهة أخرى كانت تركيبة الإخوان شبه سرية، فبعد وفاة "المخلافي" اختارت قيادة الإخوان بمصر "الشيخ عبدالمجيد الزنداني"[2] من علماء محافظة إب، مراقباً لجماعة الإخوان المسلمين في اليمن، وتشدد الزنداني في مطالب الجماعة وأدى تشدده إلى انقسامها بين جماعة مؤيدة له وأخرى ترى عدم إلخروج على طاعة السلطة ولذلك عرف بأنه رجل صدامي.

ويبدو أن الشيخ "الزنداني" كان يرغب في استقلالية الإخوان على غرار ما تم في السودان على يد الشيخ الترابي، وكلا الشخصين يحملان فكراً أكثر استقلالية عن جماعة الإخوان بمصر "وذلك بسبب الخلاف في بعض الطروحات الفكرية والسياسية والمحلية والدولية. لذلك تم تنحية ــ الشيخ

---

1) نفس المرجع : ص٣٥٤.

2) كان الشيخ الزنداني أحد الطلاب الدارسين في جمهورية مصر منذ قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ٦٢م، وكان مبرزاً في نشاطه السياسي ثم تحول إلى جماعة الإخوان حوالي عام ١٩٦٤م والتحق بالشهيد الزبيري وكونا حزب الله، ثم نشط بعد مقتل الزبيري عام ١٩٦٥م.

الزنداني ـ من منصبه وعين مكانه ـ الشيخ ياسين عبدالعزيز القباطي ـ من محافظة تعز، وهو أقل من "الزنداني" خبرة وعلماً لكنه أكثر انقياداً وتبعية للقيادة بمصر، مما جعل القيادة بمصر تستأنس بتعيينه مراقباً لجماعة الإخوان المسلمين، نظراً لطبيعته السلمية والمسالمة للنظام الحاكم، فلقي قرار تعيينه ارتياحاً من قبل النظام الحاكم. وعندما أعلنت القيادة السياسية في اليمن التعددية السياسية عقب إعلان الوحدة اليمنية عام ١٩٩٠م، تكون حزب إسلامي يسمى "التجمع اليمني للإصلاح" من عناصر الإخوان المسلمين، وانضم إليه الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، شيخ مشايخ حاشد وأنصاره، وشرائح من التجار والقبائل، ثم السلفيون الوهابيون.. ثم انشق "الشيخ مقبل بن هادي الوادعي" زعيم الاتجاه السلفي، وكون تنظيماً فعالياً مستقلاً، وقام الوادعي بنقد شديد للاقتراب الوحدوي بين شطري اليمن ودون كتيباً اعتبر الوحدة بين شطري اليمن كفراً لأن أحد شطري اليمن شيوعي، كما ساق انتقادات مرة ضد الشيخ الزنداني مؤسس "جامعة الإيمان" وأيضاً وجه انتقاداً شديداً للشيخ "يوسف القرضاوي"[1].

كان الوادعي يمثل التوجه السعودي الوهابي... وكان يلاقي حظوة كبيرة بين أنصاف المتعلمين والجهلاء في اليمن وخارجها، ولاقى دعماً مادياً كبيراً من النظام الحاكم ومن أنصاره في السعودية والخليج .. واتخذ معظم مؤيديه من خطاباته مصدراً دعوياً يمكن العمل به.

من جهة أخرى حقق حزب الإصلاح قدراً كبيراً من النجاح بعد عام ١٩٩٥م خاصة بعد أن تخلص من خصم سياسي وعقائدي في الساحة، تمكن بعد ذلك من التعديل الدستوري الذي نص صراحة على جعل الشريعة

---

1) د. أحمد نعمان قاسم المذحجي : ورقة عمل قدمت لندوة "٤٩" لدراسة الشرق الأوسط (مؤتمر جمعية أمريكا الشمالية) المنعقد في ٨ ديسمبر ١٩٩٥م، بعنوان : تعددية مراكز القوى اليمنية وأثرها على العلاقات اليمنية السعودية.

الإسلامية المصدر الرئيسي والوحيد للتشريع.. كما شارك الحزب الحاكم "حزب المؤتمر الشعبي العام" بتقاسم السلطة ممثلاً بنائب لرئيس الوزراء، ثماني حقائب وزارية.

ونشط حزب "الإصلاح" بما في ذلك السلفيون المعتدلون في إنشاء جامعة الإيمان بصنعاء من جهة، والسيطرة على نسبة عالية من مساجد الجمهورية.. كما أنشأوا معاهد دينية ومراكز تعليم القرآن الكريم والجمعيات الخيرية، والتي لعبت دوراً هاماً في الاستقطاب الحزبي.. ونجح النظام الحاكم بصنعاء في إضعاف التوجه السلفي المعتدل كالشيخ الزنداني ورفقاه، وخاصة بعد تصفية الحزب الاشتراكي وتقليص دوره السياسي بعد هزيمته في حرب ١٩٩٤م[١].

بعد حرب ١٩٩٤م عقد اتفاق بين المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح على أن يقوم بينهما ائتلاف حكومي وفقاً للأسس والالتزامات والإجراءات الملزمة للطرفين[٢].

---

1) في الخامس من مايو ١٩٩٤م تحول الخلاف بين المؤتمر والحزب الاشتراكي إلى حرب ضروس انضم حزب الإصلاح إلى المؤتمر ودارت رحى المعارك على أشلاء آلاف اليمنيين من طرفي المتصارعين. كان للملكة العربية السعودية دور في إشعال أتون الحرب، وقامت بدعم الحزب الاشتراكي بالعتاد والسلاح والطيران العسكري، كما كانت دول إلخليج بأجمعها داعمة للحزب الاشتراكي بالمال والإعلام، وكانت ساعة الصفر تنتظر مصر والسعودية ودول إلخليج لإعلان الإنفصال لتقوم بإعلان الاعتراف بدولة الجنوب المعلن عنها.. وللحقيقة التاريخية فقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية الانفصال وأرغمت الدول المتعاطفة مع الحزب الاشتراكي بعدم الاعتراف لأن مصالحها مع دولة موحدة أفضل...

2) انظر: محمد عبد الرحمن المقرمي: التجمع اليمني للإصلاح الرؤية والمسار دراسة في النشأة والتطور من (٩٠- ٩٨م) صنعاء، دار المجد للطباعة والنشر، ص٢٤٤.. ويشير المرجع إلى نص الاتفاق ونوجز منه الآتي: ١- الإسلام عقيدة وشريعة. ٢- الشرعية الدستورية ونتائج انتخابات ٢٧ أبريل. ٣- النهج الديمقراطي الشوروي القائم على التعددية

من جهة أدخل "الإصلاح" في هيكله التنظيمي دائرة سياسية هامة تتمثل بمجلس الشورى والذي يضم معظم مؤسسي تنظيم جماعة الإخوان المسلمين.. وللمجلس حق الإشراف السياسي والتنظيمي للحزب[1]. وتقمص حزب الإصلاح روح الديمقراطية في الطرح والحوار والنقاش، والنقد البناء في إطار التنظيم وهي تكاد تكون ظاهرة حزبية فريدة.

السياسية والحزبية والتداول السلمي للسلطة وضمان الحريات العامة وحقوق الإنسان وحق المعارضة في ممارسة دورها البناء لإثراء وترسيخ الممارسات الديمقراطية. ٤- ضمان حيادية وسائل الإعلام الرسمية وحق الأحزاب المعترف بها قانوناً في استخدامها بصورة متكافئة وعدم السماح بهيمنة أي تنظيم عليها أو تسخيرها في الصراع السياسي بين الأحزاب والتنظيمات السياسية. ٥- قيام الإئتلاف الحكومي بين التنظيمين على أساس نسبة كل منهما إلى مجموع أعضاء التنظيمين في مجلس النواب أي بنسبة (١:٢) على أن يكون رئيس الحكومة من المؤتمر الشعبي العام ،، ونائبه من التجمع اليمني للإصلاح يساعده في أعماله وينوب عنه عند غيابه.

1) المقرمي : المرجع السابق : يشير المرجع إلى الآتي: يتكون مجلس الشورى من مائة عضو ينتخبهم المؤتمر الشعبي العام ورؤساء هيئات الشورى المحلية، وقيادة كتلة الإصلاح – النيابية ـ وتشير مادة (٢٢) إلى أن "لمجلس الشورى بناءً على ترشيح من الهيئة العليا أن يضيف لعضويته من تدعو إليهم الحاجة من بين أعضاء "الإصلاح" من أهل الخبرات والتخصصات العلمية المختلفة، ومن الشخصيات الاجتماعية على أن لا تزيد الإضافة عن نسبة ٥٪ من أعضائه.. مادة (٢٣) مجلس الشورى هو الجهة المسؤولة عن بلورة أهداف "الإصلاح" وقرارات وتوصيات المؤتمر العام ومراقبة الأجهزة المختصة في تنفيذها، ويختص بالآتي: ١- انتخاب رئيس المجلس ونائبيه وأمين سر المجلس. ٢- انتخاب الأمين العام والأمين العام المساعد. ٣- انتخاب عشرة لعضوية الهيئة العليا من بين عشرين مرشحاً تتقدم بهم الهيئة العليا في دورتها الأولى إلى المجلس من ذوي الرأي والخبرة في المجالات التي ترى الهيئة الحاجة إليها. ٤- انتخاب أعضاء الدائرة القضائية. ٥- متابعة الهيئة العليا والأمانة العامة في تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر العام. ٦- مناقشة وإقرار الخطط العامة الهادفة لتنفيذ برنامج العمل السياسي وقرارات وتوصيات المؤتمر العام. ٧- مناقشة واقتراح مشروعات تعديلات النظام الأساسي واللائحة العامة وبرنامج العمل السياسي..

وفي منتصف سبتمبر ١٩٩٥م وصل الأمر إلى انتقاد الإصلاح في جريدته الناطقة باسم "الصحوة" حين جرى انتقاد مشاركة اليمن في قمة عمان الاقتصادية، بسبب مشاركة "إسرائيل" فيه ووصل الأمر في منتصف أكتوبر ١٩٩٥م إلى حد تهديد الإصلاح بالانسحاب من الائتلاف، وفي منتصف نوفمبر من نفس العام قاطع الإصلاح اجتماع مجلس الوزراء الذي نوقش فيه تقارير فساد وزراء الإصلاح، كما اشتد الخلاف داخل الإصلاح في نهاية عام ١٩٩٥م، ومطلع ١٩٩٦م في أعقاب استقالة وزير التموين ونائبه الإصلاحيين.

ومن الملاحظ أن حزب الإصلاح خسر كثيراً بإزاحة الحزب الاشتراكي كمنافس للمؤتمر، كما خسر سياسياً بدخوله الحكم كشريك للحزب الحاكم[1].

ويبدو أن هذه الرؤية كانت واضحة للعيان، فالمماحكات السياسية وتبادل الاتهامات بالفساد وخاصة عندما افتتح حزب الإصلاح الاكتتاب بالأسهم في تجارة الأسماك، وفشل في ذلك فشلاً ذريعاً، ويبدو أن الحزب الحاكم لعب دوراً في إجهاض ذلك المشروع الاستثماري على غرار ما صنعته مصر مع جماعة الإخوان المسلمين في مشروع الريان.

من جهة أخرى كان على الإصلاح مهمة توزيع القمح بصورة متوازية بين الناس نظراً لقلة القمح بالسوق، إلا أن معظم من أوكل إليهم توزيعه أوجد نوعاً من المفاضلة بين منتسب للإصلاح وغيره وأدى ذلك إلى نقد شديد لحزب الإصلاح.

لقد كان التيار الإسلامي في اليمن في البداية عازفاً عن السلطة، لكنه بعد الوحدة عندما انضم إليه التيار القبلي خاصة، وجماعة السلفيين بوجه

---

1) د. أحمد نعمان قاسم المذحجي : ورقة عمل شارك فيها الباحث المذحجي في ندوة "٤٩" في دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق.

عام بدأ ينظر إلى السلطة كهدف أساس. ولذلك انضم الإصلاح إلى جبهة المعارضة للسلطة.

الحركة الإسلامية في الجزيرة العربية والخليج :

الأنظمة الملكية تتبع سياسات تدرجية ضمن المعتقد الديني الإسلامي، ويؤازر ذلك تأييد قبلي، وتستخدم الأسرة الحاكمة الإسلام كحائط تستند عليه في مواجهة الخارجين عليها.. وتحيط نفسها بهالة الشرعية الإسلامية لتقطع الطريق على قوى المعارضة.. فالنظام السعودي يحتكم إلى الشرعية المذهبية "الوهابية"، وأعلنت الهيئة المرجعية الدينية لديها بأنها لا تؤمن بالمذهبية ولا تعترف بها بينما توجهاتها بالأساس تستند لفكر مذهبية أحمد بن حنبل .

ومن المعلوم أن النظام الحركي الإسلامي تطور بشكل ملحوظ منذ مطلع السبعينات عندما خرج معظم الإخوان من مصر واتجهوا نحو السعودية واليمن، ودول الخليج العربي وآخرون اتجهوا نحو أوروبا.. ونجح أنصار الاتجاه الفكري الوهابي أن يلبس معظم هؤلاء فكر ابن عبدالوهاب، وهو فكر مغالٍ في كثير من طروحاته، ويقوم على تكفير الآخر دون منطق فقهي، باعتبار أن الاتجاه الوهابي لا يؤمن بالاجتهادات الفقهية التي قام بها عمالقة الفكر الإسلامي في السابق[1].

---

1) يشير المفكر الفرنسي المسلم "روجيه جارودي" في إحدى محاضراته التي طبعت بشكل كتيب بعنوان "الإسلام والخطر السعودي" إلى أن العصر الحاضر يرجع تفتت الأمة الإسلامية وتدهور الإسهام الإسلامي إلى التقسيمات القومية واندماج البلدان الإسلامية الغنية في النظام الرأسمالي الأمريكي، فبينما تستثمر بلدان إلخليج (١٧٢) بليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية معظمها مكدس في خزائن البنوك تحت التصرف المباشر لحكومة الولايات المتحدة وإسرائيل، بل وقدموا للولايات المتحدة قواعدهم العسكرية وطائراتهم "الأواكس" وملايين الدولارات وضعت تحت إمرة "رونالد ريجان" لتسليح "الكونترا" ضد

ويختلف النظام الملكي السعودي عن الأنظمة الملكية في الوطن العربي كالمغرب والأردن، فالسعودية تعيش حالة انغلاق فكري وسياسي عن العالم.. وإن كانت تقيم علاقات دبلوماسية مع العالم.. إلا أن أيديولوجية الفكر السياسي يخضع لمفهوم "لكم دينكم ولي دين" حتى في إطار علاقتها مع الجيران لها منظور إقليمي ضيق، وتحتكم لمنطق الاستقواء بالمال والاستعلاء بالرأي.. والتوسع في الأراضي على حساب الجيران.

ثوار "نيكاراجوا" البلد الوحيد في أمريكا الوسطى الذي لم يشارك في جهود ريجان المناهضة للمسلمين، وأصبحت دول إلخليج الغنية جزءاً من المستعمرات الأمريكية وأدوات لسياستها. ويضيف : إلى أن النظام السعودي عهد بمهمة تشكيل حرسه الوطني إلى مؤسسة "فينيل" من نبراسكا، واستعانت بالبوليس الفرنسي لطرد مقتحمي المسجد الحرام في مكة عام ١٩٧٩م، وعينوا المجرم الألماني "أوليرس فون فاجنر" مديراً عاماً لتدريب الحرس الوطني.. في نفس اليوم الذي أطلقوا فيه النيران على الحجاج الإيرانيين عام ١٩٨٨م.

واندمج الإخوان إندماجاً كاملاً بالنظام السعودي حتى في ملابسهم، وكأن الزي الإسلامي المنشود حتى في العلاقات الأمريكية الإيرانية .بعد الثورة الإيرانية الإسلامية شدد النظام السعودي عداءه للنظام الإيراني، واعتبرهم كفاراً مشركين واندمج الإخوان في الاتجاه نفسه في عدائهم للشيعة الإيرانية، وذلك إنتصاراً للسياسة الأمريكية في المنطقة.. ومن المعلوم أن إيران كانت في عهد الشاه تمثل شرطي المنطقة وانتهى هذا الدور بالثورة الإسلامية الإيرانية، وأعلن الرئيس الأمريكي في ذلك الحين "ريجان" بالقول : "لن نسمح بأن تكون السعودية إيران جديدة".. وانتصاراً للرؤى الأمريكية التي أعلنت عداءها للثورة الإسلامية الإيرانية تحالف الأمراء السعوديون إلى جعل إيران العدو الأول بدلاً من إسرائيل عدو الإسلام.

ونلاحظ أن الدول العربية تلاحمت مع صدام حسين في حربه ضد إيران انتصاراً للاتجاه السياسي الأمريكي واستغل النظام السعودي أنصارهم من الإخوان في نشر الإسلام كما يفهمون في أفريقيا وآسيا، وإغراقهم بكتبهم وكتاباتهم المجانية التي تقدم الإسلام في إطار منظومة من الممارسات والطقوس الخارجية.. لا روح لها، وتختزل في طقوس وممنوعات..

ولم يكن الفكر الوهابي على وئام مع آل سعود في منتصف العشرينات من القرن العشرين عندما أعلن الوهابيون العسكريون عصيانهم لابن سعود وهاجموا المناطق الشمالية الواقعة تحت الانتداب البريطاني، مما استدعى الملك عبدالعزيز القيام بمواجهة المتمردين وتحالف مع القوات الجوية البريطانية في موقعة "السبلة" عام ١٩٢٩م وتم تصفيتهم.. وكان ذلك أول خروج على ابن سعود[١].

بعد وفاة الملك عبدالعزيز عام ١٩٥٣م تولى الحكم من بعده إبنه "سعود" كان شخصية ضعيفة وكان عهده إيذاناً بعهد من التبذير وفساد الحكم أدى ذلك إلى تنحيته عام ١٩٦٤م بإجماع كبار الأسرة المالكة والعلماء.. وتولى فيصل الحكم وبدأ بإصلاحات سياسية وحكومية، ومنها تحديد ميزانية للدولة وتعيين هيئات قضائية للأقاليم، فضلاً عن إجراءات للرعاية الاجتماعية والسيطرة على الأسعار وإلغاء الرق. كما أوجد مجموعات من قوانين العمل، وسار على نهج والده في إضفاء الشرعية على المبادرات الجديدة.. "كان أعظم تحد خارجي واجه الملك فيصل هو الوحدة العربية التي نادى بها عبد الناصر، وأدى ذلك إلى مواجهة عسكرية (مصرية ـ سعودية) في الحرب الأهلية اليمنية (١٩٦٢- ١٩٦٨م)، وكان رد فعله هو اللجوء إلى الشرعية الإسلامية في الداخل وتشجيع حركات "الجامعة الإسلامية في الخارج " [٢].

---

1) ريتشارد هرير دكميجان: الأصولية في العالم العربي "ترجمة" عبد الوارث سعيد، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٩٤.. انظر أيضاً : د. برهان غليون، المحنة العربية الدولة ضد الأئمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٣م، ص٤٨. انظر أيضاً : د. عبدالوهاب العقاب : تطور العلاقات اليمنية السعودية "١٩٤٨- ١٩٧٠م)، عدن، جامعة عدن، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٥.

2) فاروق أ. شكري : الإسلام والسياسة في السعودية في "الانبعاث الإسلامي في العالم العربي"، تحرير علي الدين هلال دسوقي، نيويورك، بريجر، ١٩٨٢، ص١٤٨- ١٨٥ نقلاً عن ريتشارد هرير دكميجان، الأصولية في العالم العربي، مرجع سابق، ص١٩٦.

اغتيل فيصل عام ١٩٧٥م وتولى أخاه الملك خالد بعده، ثم تنازل عن العرش في ظروف غامضة، وتربع على العرش من بعده الملك فهد بن عبدالعزيز وفتح الباب على مصراعية في علاقات أمنية مع الولايات المتحدة، وأدت جهود الملك فهد في مجال التنمية واهتماماتها في مجال الأمن إلى تزايد الوجود الأمريكي[1].

ويشير "ريتشارد" إلى أنه نتج عن هذه التطورات فساد وإسراف في الاستهلاك بين أفراد معينين وزيادة في حرمان القبائل والطبقتين الوسطى والدنيا، وفي هذا الجو ظهرت موجة جديدة من الانبعاث الإسلامي خلال السبعينات[2].

---

1) ميكائيل كورتس: خلق السعودية وتآكل السلفية الوهابية في الدين والسياسة في الشرق الأوسط، نقلاً عن ريتشارد هرير دكميان، المرجع السابق، ص١١٧، ويشير المرجع إلى ما ذكر ميكائيل إلى أن أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) أمريكي يعيشون في السعودية منذ أواخر السبعيات، ص٢٨٢.

2) نفس المرجع السابق، ص١٩٧: ويشير المرجع أيضاً إلى الحراك التاريخي، ويوضح أن الجهة المعارضة كان مسرحها الرئيس يحتله القوميون العرب الناصريون بقيادة الأمير طلال، وهذا شل دور الإسلاميين، إلا أن هذا الدور الذي قام به القوميون ضعف عقب اعتقال قادته عام ١٩٦٩م وتدهورت واحتل مكانها الأصولية الإسلامية وكان قيادتها في يد الأمير خالد بن مساعد بن عبدالعزيز، وعندما شعر الملك فيصل بأن هذه القوة تشكل تهديداً للمملكة خاصة عندما عارض الأمير خالد إدخال التلفاز.. وفي أغسطس ١٩٦٥م قتل الأمير خالد مع سعد بن هليل وآخرون من الأتباع.. وبعد عشر سنوات قام الأمير فيصل بن مساعد باغتيال الملك فيصل انتقاماً لموت أخيه الأكبر الأمير خالد بن مساعد.

وبرز إلى الساحة تيار إسلامي جديد، ويعد "جهيمان بن سيف العتيبي"[1] قائد ومؤسس هذا التيار، وكذا المحرك الرئيس في المواجهة العسكرية في المسجد الحرام عام ١٩٧٩م.. تكونت في شخصية جهيمان عوامل مهمة جعلت منه ثائراً أصولياً من أعلى درجة، ميالاً إلى تحطيم نظام آل سعود، وخلفيته القبلية وطبقته الوسطى وتاريخ أسرته وإخلاصه العقائدي وخبرته العسكرية.. وتحدد بياناته التي أذيعت عبر مكبر الصوت عند احتلاله الحرم المكي توجهاته الفكرية وهي :

ـ وجوب إتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، الوحي والدعوة والغلبة العسكرية.

ـ ضرورة أن يقوم المسلمون بالإطاحة بحكامهم الحاليين الفاسدين المفروضين عليهم والذين تنقصهم الصفات الإسلامية حيث لا يعترف القرآن بملك أو قبيلة.

ـ شرعية الحكم تتطلب الإخلاص للإسلام والعمل به والحكم بالقرآن، وليس بالقهر، والانتماء إلى أصول قريشية وانتخاب المؤمنين المسلمين "للحاكم".

ـ واجب إقامة العقيدة الإسلامية على القرآن والسنة وليس على تفسيرات العلماء المشكوك فيها ودروسهم "الخاطئة" في المدارس والجامعات.

---

1) انظر : ريتشارد هرير ديكمجيان : المرجع السابق، ص١٩٩.. ويشير المرجع إلى شجرة "العتيبي" التي تنحدر من قبيلة "عتيبة" وقد قتل جده في موقعة "السبلة" وهي حادثة تمثل رابطة بين الوهابين القدامى والجدد من الناحية المرجعية المذهبية.. خدم "جهيمان" في الحرس الوطني السعودي المجند من القبائل. واستقال منه عام ١٩٧٤م، وتعلم أسس الفكر المذهبي على يد الشيخ عبدالعزيز بن باز في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بعد منتصف السبعينات قضى جيهمان وقته في نشر رسالته وتنظيم أتباعه في مواجهة النظام..".

ـ على المسلم أن ينفصل عن النظام الاجتماعي والسياسي بترك الوظائف الرسمية.

ـ ظهور "المهدي" من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ولد الحسين بن علي ليزيل المظالم القائمة ويقيم العدل والسلام للمؤمنين.

ـ رفض كل من يشرك بالله بما في ذلك عباد علي وفاطمة ومحمد وإلخوارج، وحتى الموسيقى والتكنولوجيا.

ـ وجوب إقامة مجتمع مسلم ملتزم يحمي الإسلام من الكافرين، ولا يؤثر الأجانب[1].

يمكن القول مما سبق أن الأفكار المطروحة شبيهة إلى حد ما بأفكار "جماعة التكفير والهجرة" الذين اعتبروا العمل الوظيفي مع النظام الحاكم كفراً بسبب تعامله مع البنوك الربوية وخروجه عن التشريعات السماوية الإسلامية.

في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م تمكن "جهيمان" من احتلال المسجد الحرام بعد أن قام بإغلاق بوابات الحرم الثمانية والأربعين، أعلن "محمد عبدالله القحطاني" أخو زوج "جهيمان" أنه المهدي المنتظر أمام تجمعات الحجاج المذهولين –كان عدد اتباعه ما يزيد على (٣٠٠) من الرجال مع أسرهم ـ واستمروا في القتال أسبوعين حتى تم قتل معظمهم وإلقاء القبض على من تبقى منهم حيث تم إعدام جهيمان واثنين وستين من أصحابه.

والسؤال المطروح هو هل المحاولة الانقلابية على النظام كانت وليدة ظلم حقيقي، أم أنها نتيجة خلاف على أساليب وحظوة نفوذ قبيلة آل سعود؟

يبدو لقارئ التاريخ أن معظم الدول العربية تسيطر وتستأثر على مقدراتها القبيلة صاحبة الحظوة والنفوذ، صحيح أن بعض المناطق العربية التي خضعت

---

1) نفس المرجع السابق : ص٢٠٠.

لنفوذ الاستعمار الأوروبي ذابت فيها العصبية القبلية كمصر وتونس والمغرب العربي، أما بقية الدول العربية فالقبيلة الواحدة هي المستأثرة بكل مقدرات البلاد.. ولذلك يمكن القول إن النزاع الذي جرى بين قبيلة عتيبة وآل سعود كان وليد الشعور باستئثار آل سعود والقبائل المنتمية عن طريق الخوالة إليهم بكل شيء.. هذا جانب، الجانب الآخر هي النزعة الثأرية، فقد قتل جد "جهيمان" في المعركة التي دارت بين الملك عبدالعزيز والقبائل المتمردة والتي توارت خلف الفكر الوهابي في موقعة "السبلة".

أما الجانب الديني والمذهبي فقد كان وسيلة أو مطية تحتمي بها وخلفها قبيلة "عتيبة" لتبرر موقفها الانقلابي، وتشير بعض المصادر[1] إلى أن ارتباطات قبلية حول قبيلة عتيبة كقبيلة قحطان، وحرب، وعنزة، ومطير، وكان معظم المتمردين قد جاءوا من "نجد" وقلة من "شمر" و "عسير" وانضم إليهم متعاطفون فكرياً وتم القبض عليهم حوالي اثنين وعشرين شخصاً، معظمهم من مصر واليمن وقليلون من الكويت والسودان والعراق.

من جهة أخرى كانت الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة تعاني من شعور بالإحباط نظراً لأساليب إرهاب الدولة ضدها ـ وهي منطقة تعتبر سكانياً امتداداً للأغلبية الشيعية في إيران والعراق ـ ويعود تاريخ تمردها إلى زمن احتلالها من قبل الملك عبدالعزيز عام ١٩١٣م[2].

---

1) صوت الطليعة (مايو ١٩٨٠) : ص١٢٨- ١٢٩.. روشت " الحمى الكبرى" ص٩٢.. نقلاً عن : ريتشاد هرير دكمجيان، المرجع السابق، ص٢٠٢.

2) نفس المرجع : ص٢٠٣ : ويشير المرجع إلى أنه تم في عام ١٩٢٥م إنشاء جمعية بقيادة محمد الحبشي لتعبر عن مطالبها واعتبرت الحكومة تلك المطالب غير شرعية، وحين كشف النفط أصبح للمنطقة الشرقية أهمية جديدة حيث عمل كثيرون من المواطنين الشيعة في حقول النفط، وفي عام ١٩٤٨م تظاهر الشيعة ضد النظام فتم سحق المتمردين الذين يطالبون بالانفصال عن المملكة، وفي عام ١٩٤٩م اكتشفت الحكومة مجموعة متآمرين تعمل تحت اسم جمعية تعليمية، وتم سحقها عام ١٩٥٠م، وفي خلال حرب ١٩٥٦م، و١٩٦٧م

وكان آخر انتفاضة ضد النظام حصلت عام ١٩٧٨م أدت إلى اعتقالات وخسائر واسعة النطاق[١].. وفي أواخر عام ١٩٧٩م أدت الإضطرابات والتي تزامنت مع أيام الحداد الديني الشيعي ـ عاشوراء ـ واحتجاز الرهائن الأمريكيين في طهران، والاستيلاء على المسجد الحرام في مكة ، وسحقت هذه الانتفاضة على يد قوات الحرس الوطني في ١٩ نوفمبر وحتى النصف الثاني من ديسمبر ١٩٧٩م[٢].

واتخذت المملكة العربية السعودية تكتيكاً سياسياً تمثل بالمكافآت المالية مع مناوئيها المبعدين، وقامت أيضاً بإرضاء معارضيها من السنة في الداخل والخارج ، فالجماعات الإسلامية السنية داخل المملكة وخارجها لها ارتباطات قوية مع الإخوان المسلمين في مصر وفروعها في الكويت والخليج وأوروبا.. ونظراً لتزايد موجة الاحتجاج فقد نظم بعض الشباب الأصوليين أنفسهم في جماعة أسموها "جماعة الدعوة" ومن مظاهرهم الخارج ية التزامهم بالآتي:

ـ لحى كاملة مع شارب نحيل أو بدون شارب.

ـ تقصير شديد لشعر الرأس (٣ ملليمتر).

ـ ثوب أبيض قصير فوق السراويل، يغطي من السرة إلى الركبة لا يغطي الثوب القدمين لأن الثوب الطويل يشير إلى البذخ أو الكبر.

ـ غطاء للرأس "طاقية" وغترة بدلاً من العقال العربي المعتاد الذي يعتبر بدعة.

ـ ساعة يد مع سلسلتها ، وليس ثمة مسبحة[٣].

بين العرب وإسرائيل قام الشيعة بقطع الإمدادات النفطية عن الغرب وفي عام ١٩٧٠م تم قمعهم عن طريق الحرس الوطني واحتواء الاضطرابات.

1) فردهاليداي : الرمال المتحركة تحت بيت سعود، مجلة التقدمي، مارس ١٩٨٠،ص٣٩.

2) ريتشارد هير ديكمجيان : مرجع سابق، ص٢٠٤.

3) نفس المرجع : ص٢٠٦.

وبـرزت معظـم هـذه المظـاهر في الكليـات العلميـة في جامعـة المعـادن والبترول، وكلية الطب بجامعة الملك فيصل، وجامعة الملك سعود في الرياض.. ويدل ذلك على توجه جديد باستخدام التقنية الغربية ضد الغرب.

ونتيجة لذلك فقد بدأت المملكة السعودية استرضاء المعتدلين والمتشددين من الأصوليين فاتخذت قانوناً أساسياً يتضمن "مجلس الشورى" إلى جانب وعود أخرى باتخاذ برنامج شامل للإصلاح.

وفي منتصف يونيه ١٩٨٣م دعا الملك فهد إلى عقد مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين تحت شعار "تحديث الشريعة الإسلامية " عن طريق "الاجتهاد"[1].

فهل كانت النتائج مجدية؟.. يبدو أن سياسة آل سعود بدأت تستجيب تحت وطأة الضغط من العلماء والمثقفين السعوديين. ولكنها استجابة وقتية، وكان الغرض من اختيار العلماء من العالم الإسلامي لحضورهم المؤتمر لمناقشة العلاقة بين الراعي ورعيته، صحيح أن البرنامج أخذ شعار تحديث الشريعة، إلا أن مقتضيات الواقع السياسي لآل سعود هو دراسة دور العلماء في توجيه العامة للعمل بتوجيهات ولي الأمر. برغم التسليم بالنص الذي يأمر بأنه لا سمع ولا طاعة في حالة وقوع المعصية أو الأمر بها من جانب الإمام أو السلطان أو ولي الأمر أو الدولة، لكن ذلك لا يعني الرضا والقبول، فنزع السيف لا يعني نزع أشكال أخرى من الاحتجاج أو الرفض السلبي[2]. ويرى الإمام أحمد بن حنبل ــ وهو مذهب الاتجاه الوهابي ـ أن ليس من السنة أن

---

1) مجلة الواشنطن بوست (١٦/٦/١٩٨٣)م.

2) د. فهمي جدعان : الطاعة والاختلاف في ضوء حقوق الإنسان في الإسلام، في ندوة تحرير : سلمى إلخضراء الجيوشي، وآخرون "ندوة فكرية حول حقوق الإنسان في الفكر العربي" دراسات في النصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط١،٢٠٠١م،ص٢٠٣.

ترفع السلاح على إمامك، وأن من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية[1].

مما سبق يمكن القول أن الاتجاه الحركي الإسلامي في الجزيرة العربية أخذ في النمو نتيجة مؤثرات خارجية وداخلية، وهو تحدٍ يضع النظام السعودي أمام خيار التغيير التدريجي وفقاً للمعايير الديمقراطية المطلوب ممارستها وهو خيار مرهون بقناعات الأسرة الحاكمة إذا رغبت باستمرار مكانتها ووضعها السياسي.

وفي دول الخليج العربي فسماتها قائمة على حكم سلالي في أيدي عائلات تدين بالمذهب السني باستثناء عمان والتي تدين بالمذهب الإباضي، والبحرين ومعظم سكانها من الشيعة، وتتحكم هذه الأسر بالاقتصاد، ومنحت تغلغلاً غربياً ملموساً في اقتصاد المنطقة وثقافتها ضمن عملية التحديث.وتميز بعض سكانها العرب بالثراء الفاحش.. هذه العوامل أنتجت فكرة الأصولية السلبية إذا قورنت بدول الجوار الإسلامية في إيران والسعودية.. وتعد مجتمعات الخليج منفتحة إلى حدما على العالم.

ويشير "ريتشارد"[2] إلى أن الغنى الفاحش، والتبذير والتهتك، قد ساهم في ظهور الأصولية بشكليها السني والشيعي، وقد ساهم الوافدون العرب، المصريون والفلسطينيون والباكستانيون واليمنيون، والسوريون، والعراقيون وغيرهم في انبعاث حركي إسلامي نتيجة الاحتكاك بالإيرانيين الشيعة والهنود البوذيين العاملين في دول الخليج .

ففي الكويت تم أول انتخاب نيابي عام ١٩٨١م، وبدأت الكويت تعمل على تحديث سريع للمجتمع والإسلام لا يزال القاعدة الأساسية في شخصية

---

1) أبو علي حنبل بن إسحاق : ذكرى محنة أحمد بن حنبل، ص٨٩- ٩٩.

2) ريتشارد ديكمجيان : مرجع سابق، ص٢٠٩.

الفرد والمجتمع، وتشير المعلومات إلى أن سياسة النظام الحاكم لآل الصباح قد شجعت على نمو الوعي الإسلامي غير السياسي[1].

وفي مطلع الثمانينات استضافت دولة الكويت العديد من اللاجئين السياسيين ما بين يساريين وتحرريين "ليبراليين" وأصوليين إسلاميين، والذين أصدروا صحفاً ومجلات عالية الجودة منها "مجلة المسلم المعاصر"، ومجلة "الوعي الإسلامي"، ومجلة "المجتمع" التي تصدر عن "جمعية الإصلاح الاجتماعي" والتي تنتهج فكر "الإخوان المسلمين" وتحظى هذه الجمعية بحماية وتعاطف من عدد من الشخصيات البارزة في النظام والأسرة الحاكمة، وترأس الجمعية شبكة من الفروع على امتداد دول الخليج .

وهناك جماعة شيعية وتتمثل "بدار التوحيد" وكان لها مطبوعات باسم "أهل البيت" وكان لهذه الجماعة نشاط إعلامي دعوي، وتحظى هذه الجماعة بدعم مادي من إيران.. وتحظى جماعة "حزب الدعوة" الشيعية أيضاً بدعم من الداخل والخارج .. وعندما بدأت هذه الجماعة تهدد أمن البلد بعد تفجيرات ديسمبر ١٩٨٣م في السفارتين الأمريكية والفرنسية، اتخذت الدولة الكويتية إجراءات أمنية صارمة، وبدأ النظام يتجه نحو الجماعات العلمانية من أجل التوازن السياسي مع الإسلاميين.

أما البحرين فالأغلبية السكانية شيعية، إلا أن المسيطرين على أمور البلاد هم السنة "عائلة الشيخ عيسى بن خليفة" من هنا بعض أفراد الشيعة متعاطفون مع السياسة الإيرانية.

وفي عهد الإمام الخميني ثارت الأغلبية الشيعية في محاولة انقلابية، وكان للشيعة تنظيم يسمى "الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين" ويتزعمها

---

1) توفيق فرح : السياسة والدين في الكويت، في الانبعاث الإسلامي في العالم العربي، تحرير : علي الدين هلال دسوقي، ١٩٨٢)،ص١٧١- ١٧٦، نقلاً عن : ريتشارد ديكمجيان، مرجع سابق،ص٢٧.

"حجة الإسلام هادي المدرسي" وتم إبعاده من البحرين بسبب ادعائه أنه وكيل الخميني في البحرين. وكان له علاقة بمنظمة العمل الإسلامي المعارضة لحزب البعث العراقي[1].

في ١٦ ديسمبر ١٩٨١م أعلنت البحرين والسعودية القبض على خمسة وستين فرداً، أتهموا بالضلوع في الإرهاب، وأنه تم تدريبهم عن طريق "المدرسي" وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٨١م عقدت معاهدة دفاع مشترك بين البحرين والسعودية، واتهم وزير الداخلية السعودي "نايف بن عبدالعزيز" إيران التي أصبحت دولة عدوانية[2].

أما دولة قطر فتحكمها عائلة آل ثاني وتعتنق فكرياً المذهب الوهابي، ومميزات دولة قطر، نزوع سكانها إلى العمل في التجارة، وكان للإخوان المسلمين المبعدين من مصر دورٌ في تكوين جماعة إسلامية معارضة للنظام والاتجاه الشيعي الذي يشكل ١٦٪ من مجموع السكان وهم من أصل فارسي. وتقف "عمان" الإباضية وحدها في العالم الإسلامي، وتحكمها أسرة "آل بوسعيد"منذ منتصف القرن ١٨م.

ونتيجة لقسوة "سعيد بن تيمور" (١٩٣٢ ــ١٩٧٠) أوجد عزلة عمان عن العالم الخارج ي، وأدى ذلك إلى العديد من الثورات كان أخطرها ثورة ظفار في منتصف الستينات من القرن العشرين، فاستبدل البريطانيون بالسلطان سعيد ابنه "قابوس" الذي نجح بسحق الثورة بقوة إيرانية وأخرى أردنية.

وتتكون "الإمارات العربية المتحدة" من سبع مشيخات التقت في اتحاد فيدرالي عام ١٩٧١م، وتم نجاح ذلك الاتحاد تحت رعاية بريطانيا، وكان

---

1) المرجع السابق : ص٢١٤.

2) الدستور (١٩٨٢/١/١١)،ص٢٦- ٢٧.

ذلك الحديث بمثابة حل للصراعات العائلية والقبلية والاقتصادية التي ظلت قروناً على التوحد[1].

ويمثل الشيعة من أصل إيراني ٣٠٪ من مجموع السكان وثلثاهم من مواطني الإمارات، يتركز معظم الشيعة في "دبي" كونها مركزاً تجارياً وتجمعاً للمصارف، ويحتل الشيعة مراكز هامة تجارية وسياسية أيضاً. وقد استقدمهم الشيخ" مكتوم" للعمل في مشاريعه التجارية.. وتنظر الدولة إلى الشيعة على أنهم طابور خامس لإيران على الرغم من هدوئهم.

مما سبق يمكن إسدال الستار على النشاط الإسلامي في الخليج وخاصة أثناء حرب الخليج الثانية عندما انقلب "الإخوان المسلمون" في دول الخليج على نظام وتوجهات الإخوان في المركز بمصر، وغلب عليهم عاطفة المصالح الإقليمية على العاطفة الروحية.. فهل يمكن تقويم اعوجاج المواقف المتباينة بين المحلي والمركز بعد احتلال العراق، وسقوط النظام العراقي في ٩ أبريل ٢٠٠٣م ؟.

الأحزاب الإسلامية السياسية في شمال أفريقيا :

تعد " ليبيا وتونس والجزائر والمغرب" من الدول التي عانت كثيراً من الاستعمار، إلا أن جبروت الاستعمار الفرنسي في "تونس، والجزائر، والمغرب" كان له أثر كبير على مجتمع شمال أفريقيا سواء في اللغة التي كادت أن تطمس، والثقافة المحلية التي امتزجت بالثقافة الفرنسية، ويبدأ تاريخ كل من هذه الدول في التاريخ الحديث من الدور الذي لعبه العثمانيون منذ دخولهم شمال أفريقيا.. فتونس خضعت للنفوذ العثماني عام ١٥٧٣م، وكان دورهم هو ملاحقة الاستعمار الأسباني، وقد تم عن طريقهم طرد الأسبان الذين دخلوا تونس على إثر استنجاد الحسن الحفصي بهم، ودخول القائد العثماني "دار

---

1) انظر : تقارير MERIP (يناير١٩٨٠) : ١٩- ٢٢. نقلاً عن : ريتشارد : مرجع سابق،ص٢١٦.

غوث باشا" مدينة القيروان، وتم اعتقال محمد الحفصي عام ١٥٧٣م، وإرساله إلى الأستانة.. وبذلك انتهى عصر الدولة الحفصية، التي حكمت تونس ثلاثمائة وخمسين عاماً[١].

وضع "سنان باشا" نظاماً مدنياً يكون الباشا العثماني هو الوالي، وله موظف يدير الشؤون المالية بلقب الداي، إلا أن الأمور تطورت فيما بعد، وأستأثر الدايات بالسلطة دون الوالي وحكموا من "١٥٩٠- ١٧٠٥"م حين ظهرت سلطة أخرى هي سلطة الباي، وأصبح الحكم لهؤلاء البايات بالوراثة، وما رست هذه الأسرة "الحسينية" حكمها من "١٧٠٥- ١٩٥٧"[٢]، وعلى الرغم من استقلال هذه الأسرة بالحكم إلا أنها كانت تخضع للدولة العثمانية من الناحية الدينية على اعتبار أن العالم الإسلامي وطن واحد.

في عام ١٨٨٠م اقتربت القوات الفرنسية من العاصمة التونسية ومنح الباي أربع ساعات مهلة للاستسلام من ثم عقدت معاهدة (باردو) معه،وقامت انتفاضة في جنوب تونس فقام الفرنسيون بقمعها عام ١٨٨١م، ومنحت فرنسا نفسها في معاهدة أخرى حق الإشراف على الشؤون العسكرية والخارج ية والمالية، وتعيين وزير فرنسي في تونس يكون حلقة وصل بين تونس وفرنسا. ولم تستطع الدولة العثمانية تقديم شيء من أجل تونس.. وبعد الحرب العالمية الأولى تنازلت تركيا عن تونس في معاهدة لوزان عام ١٩٢٣م.. من ثم أصبحت تونس تحت الحماية الفرنسية من عام ١٨٨٠- ١٩٥٦م.

وأصبحت الأسرة الحاكمة الحسينية مشلولة التصرف وأصبح حكم الباي حكماً صورياً فقط على الرغم من مشاركة وزراء تونسيين، إلا أن الحاكم العام الذي تم تعيينه "فرنسي الجنسية".

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١،٢٠٠٠م، ص٣٤١- ٣٤٢.

2) Ling, Dwightl. Tunisiau from protectorate to Republic. P. 18-20.

لم يقف التونسيون مكتوفي الأيدي في النضال ضد الاستعمار، فكانت حركة "علي شوشة" ثم حركة "علي باشا حمبة" الذي كون حزب المقاومة واستمر حتى عام ١٩٠٨م عند تحول هذا الحزب إلى حزب تونس الفتاة بزعامة الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، وكانت ثورة ١٩١١م ضد الفرنسيين بسبب محاولة الفرنسيين مد خط حديدي عبر مقابر المسلمين.. وفي عام ١٩١٩م أنشأ الوفد من الأعيان الذي ذهب إلى المقيم الفرنسي بتونس لشرح الوضع العام في تونس، كون "حزب الدستور الحر" وتعد المذكرة التي تقدموا بها للحاكم المقيم هي أهداف الحزب.

وباعتلاء الباي "محمد المنصف" عرش تونس في ١٩ يونية ١٩٤٢م احتل الألمان تونس. فتقدم "حزب الدستور" بمطالبه وشكلت حكومة إصلاحية، إلا أن الحلفاء خرجوا من تونس وعاد الفرنسيون فخلعوا الباي عام ١٩٤٣م، وعانى التونسيون الكثير من الاضطهاد الفرنسي، وضعف نشاط الأحزاب السياسية وفر الزعماء النشيطون إلى القاهرة، ودمشق، وكان من هؤلاء "الحبيب بورقيبة" الذي اتخذ من القاهرة ملجأ سياسياً له من ١٩٤٥-١٩٤٩م، واستمر الكفاح المسلح ضد الفرنسيين حتى عام ١٩٥٤م عندما منحت فرنسا تونس الاستقلال الذاتي، فشكل "طاهر بن عمار" وزارة وطنية في أول حزيران ١٩٥٥م، ووقعت تونس مع فرنسا اتفاقية استقلال تونس مع بعض التحفظات الفرنسية فلم يقبل الشعب.. وعادت الاضطرابات من جديد. وفي العشرين من أذار ١٩٥٦م انتخب "الحبيب بو رقيبة" رئيساً للجمعية الوطنية وشكل أول وزارة استقلالية.. وتنازلت فرنسا عن تحفظاتها وألغيت المحاكم الفرنسية، وفي العشرين من أذار ١٩٥٧م ألغيت الملكية، وفي ٢٥ تموز ١٩٥٧م انتخب "بورقيبة" أول رئيس جمهورية لتونس المستقلة[1].

---

1) د. إسماعيل يغي : مرجع سابق، ص٣٥٠- ٣٧٢.

كان "بورقيبة" علمانياً، وكانت ثقافته فرنسية، ولذلك جاء إلى السلطة متوشحاً مشروعاً سياسياً علمانياً.. وعمل على تفكيك مدرسة "الزيتونة" وإصلاح منهجها وفقاً لتوجهاته، وكان "الحزب الدستوري" ـ الحزب الحاكم ـ يقوم بملاحقة علماء الدين، أدى ذلك إلى ظهور تيار إسلامي سياسي في بداية السبعينات من القرن العشرين.

ويشير البيان لحركة الاتجاه الإسلامي[1] إلى أن الحركة لا تقدم نفسها ناطقاً رسمياً باسم الإسلام في تونس ولا تطمح يوماً في أن ينسب هذا اللقب إليها "فهي مع إقرارها بحق جميع التونسيين في التعامل الصادق المسؤول مع الدين ترى من حقها تبني تصور للإسلام يكون من الشمول بحيث يشكل الأرضية العقائدية التي منها تنبثق مختلف الرؤى الفكرية والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدد هوية هذه الحركة وتضبط توجهاتها الاستراتيجية ومواقفها الظرفية".

ويضيف إلى أن "حركة الاتجاه الإسلامي" حالت بينها وبين جماهيرها المسلمة ظروف القهر والإرهاب.. وتعمل الحركة على تحقيق الآتي:

ـ بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا، ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

ـ تجديد الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة، ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب.

ـ أن تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية.

---

1) د. راشد الغنوش: الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٣، ص٣٣٥- ٣٣٦.

ـ إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً على ضوء المبدأ الإسلامي، الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته"[1].

ولتحقيق هذه المهام تعتمد الحركة الوسائل التالية:

ـ إعادة النشاط الفكري في المسجد كمركز للتعبد والتعبئة الجماهيرية كامتداد لما كان يقوم به "جامع الزيتونة" دعماً لمكانة تونس كإشعاع حضاري عالمي.

ـ تنشيط الحركة الفكرية والثقافية عن طريق إقامة الندوات، تشجيع حركة التأليف والنشر، تجذير وبلورة المفاهيم والقيم الإسلامية، وتشجيع البحث العلمي، ودعم الإعلام الملتزم.. دعم التعريب في مجال التعليم والإدارة مع التفتح على اللغات الأجنبية. ورفض العنف كأداة للتغيير، وتركيز الصراع على أسس شورية تكون هي أسلوب الحسم في الفكر والثقافة والسياسة.. ورفض مبدأ الانفراد بالسلطة "الأحادية" لما يتضمنه من إعدام إرادة الإنسان وتعطيل طاقات الشعب ودفع البلاد في طريق العنف، وفي المقابل إقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.

ـ بلوَرَة مفاهيم الإسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة حتى يتم تحديد مظاهر الحيف وأسبابه والوصول إلى بلورة الحلول البديلة.. والانحياز إلى صفوف المستضعفين من العمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين[2].

---

1) الغنوش : مرجع سابق، ص٣٣٧.

2) نفس المرجع : ص٣٣٨.

برز "الغنوشي" كأستاذ فلسفة في مطلع السبعينات يخوض غمار المعارضة للنظام كمؤسس للحركة الإسلامية، وهي "حركة النهضة" في ٣ أيار / مايو/ ١٩٨٨م، يروي تجربته بالآتي:

"في بداية السبعينات أيضاً قدمت أنا من المشرق مفعماً بفكرة الإصلاح الديني التي شهدها المشرق، وكنت ذهبت إلى سوريا للدراسة لأنني من بقايا التعليم الزيتوني، وخريجي الزيتونة لم يكن لهم أمل في الجامعة، فالبعض يتوظف والبعض يتسلل إلى الشرق لأن طريق الشرق لم يكن مشجعاً عليه. ولما رجعت إلى تونس حضرت حلقات الشيخ بن ميلاد، والتقيت بالشيخ عبد الفتاح مورو، ثم انطلقنا في الحركة الإصلاحية، وقد ساعدني عملي في التعليم الثانوي على الاتصال بالشباب وتوعيتهم، وكان عملنا يتركز على التوعية العقائدية، وتتلخص في نقد المفاهيم الغربية التي كانت مسيطرة على أذهان الشباب، وإثبات تفوق الإسلام بالنسبة إليها، وقد أنشأنا لذلك حلقة أولى في جامع "سيدي يوسف" بالعاصمة سنة ١٩٧٠م، وهي تتجه خاصة لشباب الباكلوريا تقدم فيها المفاهيم الغربية وتحلل وتنقد، ويقدم البديل الإسلامي.

وفي سنة ١٩٧١م انضممنا إلى جمعية المحافظة على القرآن، ونشطنا داخلها، إلا أن الحزب تدخل وأخرجنا منها، فأنشأنا حلقة أخرى في جامع "صاحب الطابع" بالعاصمة، وبدأت تتسع شيئاً فشيئاً، واستمرت تقريباً سبع سنوات. ثم انتقل هؤلاء الشباب الذين كانوا يحظرون الحلقات إلى الجامعة، ونقلوا معهم الفكرة الإسلامية، وبدأ صراعهم هناك مع الاتجاهات اليسارية. والذين تخرجوا من الجامعة انتشروا في البلاد ونقلوا فكرتهم وأنشأوا

بـدورهم حلقـات لتوعيـة الـشباب وتربيـة إسـلامية، وهكـذا انتـشرت الحركة"[1].

وهكذا بدأت الحركة بتكوينها الشبابي الجامعي والمدرسي تشكل تواجداً بارزاً داخل الساحة التونسية.. ويقارن "الغنوشي" بين حركته والحركات المنافسة لها.. فيشير إلى دور الشيوعيين، فانطلقوا إلى النقابات خاصة وجعلوها مكاناً لعملهم يجندون الطبقة العاملة ويوهنون السلطة، حتى تضعف فينقضوا عليها بينما الحركة الإسلامية اتجهت نحو الجامعات في العالم الإسلامي.

كانت مرحلة السبعينات نهاية فترة المد القومي وانحسار المد الشيوعي في المنطقة العربية، وكان التيار الإسلامي هو البديل والصاعد على حساب التيارين القومي والماركسي، إلا أن التيار العلماني الليبرالي هو المنافس للتيار الإسلامي ومازال، ويحظى بدعم كبير من المعسكر الغربي.

والسؤال الذي يفرض نفسه، ما هي الأسس الفكرية التي تكون التوجه الإسلامي بتونس؟.. يشير "الغنوشي" إلى أن الظاهرة الفكرية بتونس تتصل بثلاثة عناصر، الأول: التدين التقليدي التونسي، والذي يتكون من التقليد المذهبي المالكي، والعقائد الأشعرية، والتربية الصوفية.. أما العنصر الثاني، وله أنصاره، يتمثل بالتدين السلفي الإخواني القادم من الشرق، ويتكون من المنهجية السلفية التي تقوم على رفض التقليد المذهبي الفقهي والعقائدي والعودة إلى الكتاب والسنة، وتجربة الخلفاء والأصحاب والتابعين، ومحاربة الوسائط بين إلخالق والمخلوق بتقديس الأضرحة والتقرب إليهم ومحاربة البدع.

---

1) د. محمد عبد الباقي الهرماسي : الإسلامي الاحتجاجي في تونس، في [د. إسماعيل صبري وآخرين]، ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٨٩، ص٢٥١.

كذلك الفكر السياسي والاجتماعي الإخواني القائم على تأكيد شمولية الإسلام ومبدأ حاكمية الله سبحانه، وتكفير الأنظمة القائمة والعمل على إزالتها.

أما المنهج التربوي ويركز على التقوى والتوكل والذكر والجهاد والجماعية والاستعلاء الإيماني والأخوة، والتقلل من الدنيا وتحري السنة حتى في الجزئيات.. ويضاف المنهج الفكري والذي يضخم الجانب العقائدي الأخلاقي على حساب الجوانب السياسية والاجتماعية، ويقيس الأوضاع والجماعات بمقياس عقيدي، ويأتي العنصر الثالث، ويتمثل بالتدين العقلاني، ويتكون من الآتي:

التراث العقلاني الإسلامي، وعمل أنصار هذا الاتجاه على إحيائه والدفاع عنه، وإعادة الاعتبار إلى المنهج الاعتزالي في التعامل مع الإسلام، حسب فهمهم لهذا المنهج، وكذلك إعادة الاعتبار للمعارضة السياسية في التاريخ الإسلامي، كالخوارج والشيعة، والزنج، وللتيارات المناوئة للسلفية وأهل السنة عموماً، والنقد الجذري الصارم للإخوان، وإعادة الاعتبار للمدرسة الإصلاحية مثل : كتب محمد عبده، والكواكبي، وجمال الدين الأفغاني، والطهطاوي، وقاسم أمين.. واعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص ينبغي أن تفهم وتؤول في ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الإنسانية).. وإعادة الاعتبار للغرب وللتيار اليساري فيه بالذات، خلافاً للفكر السلفي الإخواني الذي لا يرى في الغرب في تنظيماته وثقافته وعلومه الإنسانية.. وإعادة الاعتبار للمدرسة الإصلاحية في تونس (خير الدين، الحداد) لتجزأتها في امتدادها الحديث من خلال البورقيبية، مثل تحرير المرأة والعقلانية في التعليم.

ويضيف "الغنوشي" إلى أن هذا التيار لم يكن واعياً بنفسه في النصف الأول من السبعينات، إلا من خلال القلق وعدم الرضا عن واقع الحركة،

وكان أحياناً أكثر حماساً في الدفاع عن المواقف السلفية الإخوانية. وكان لابد لنزوعه العقلاني من حوافز اكتشاف نفسه، لذلك كان النصف الثاني من السبعينات مليئاً بالنشاط المعرفي، وبرز ذلك من خلال "مجلة المعرفة" ـ التونسية ـ التي أتاحت للكثير منهم التعبير عن رؤاهم[1].

هذا الاتجاه الفكري تخوفت منه الحكومة التونسية، و بدأت ترصد حركاته من خلال القانون الأساسي لحركة النهضة في تونس، الذي يوضح أهداف حركة النهضة بالآتي:

المجال السياسي : ويهتم بدعم النظام الجمهوري وصيانة المجتمع المدني وتحقيق مبدأ سيادة الشعب وتكريس الشورى، وتحقيق الحرية وتأكيد مبدأ استقلال القضاء، وإقامة علاقات دولية وفق مبادئ عدم الانحياز، ودعم التعاون بين الأقطار العربية والإسلامية، وإشاعة روح الوحدة العربية والإسلامية.. والنضال من أجل تحرير فلسطين، ودعم قضايا التحرر في الوطن العربي والإسلامي، والكفاح ضد الاستعمار في العالم.. والعمل على تطوير التعاون مع البلدان الأفريقية.

المجال الاقتصادي : بناء اقتصاد وطني يحقق الاكتفاء الذاتي، وتحقيق التكامل والتوازن بين القطاعات الوطنية والتأكيد على أن العمل هو أصل التكسب وشرط النهضة، من أجل بناء حياة اقتصادية وفقاً لمبدأ : الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته.

المجال الاجتماعي : العمل على توفير إلخدمات الاجتماعية بما يضمن الكفاية للجميع، والعمل على دعم كل المنظمات الجماهيرية وحماية وجودها ووحدتها وديمقراطية القرار داخلها واحترام استقلالها. وكذلك

---

1) انظر : راشد الغنوشي : تعقيب : تحليل للعناصر المكونة للظاهرة الإسلامية بتونس، في "إسماعيل صبري وآخرين، مرجع سابق، ص٣٠١- ٣٠٢.

الحفاظ على كيان الأسرة، قوام المجتمع، وتوفير الظروف الملائمة لرعاية الطفولة تنشئة وإعداداً. والنهوض بواقع المرأة وتأكيد دورها الإيجابي في الساحة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.. ويؤكد القانون على أهمية رعاية الشباب وحسن إعداده لمهام النهضة، وترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة حتى يسود المجتمع روح التآخي والتراحم.

المجال الثقافي : ترسيخ الهوية العربية الإسلامية وتجذيرها باعتبارها شرطاً من شروط النهضة وإحلالها المكان الذي تستحقه تجسيداً لمقتضيات دستور البلاد وقوانينها، واعتبار الإسلام وعاء للثقافة الوطنية، وتوفير المناخ الملائم لنهضة فكرية وعلمية شاملة مقامة على الثابت من أصول الإسلام، وعلى مقتضيات الحياة المتطورة.. واعتماد اللغة العربية في مجالات التعليم والإدارة والثقافة والارتقاء بها لتكون أداة نهضة حضارية تسهم في توحيد الأمة الإسلامية.. وتوفير الشروط الضرورية لتشجيع البحث العلمي، والحث عليه وتوفير العلماء والباحثين، والمخترعين وإنزالهم المكانة التي يستحقونها إيماناً بأهمية دور العلم في تحقيق نمو البلاد.. والعمل على تحقيق سياسة إعلامية قوامها احترام حرية التفكير والتعبير وتنمية روح الإبداع والابتكار.. وتشجيع الآداب والفنون وممارسة الرياضة حتى تؤدي دورها في نشر الفضيلة والدعوة إلى التدبر وضمان سلامة الجسم[1].

مما سبق يمكن القول إن حركة النهضة الإسلامية التونسية تعد حركة وسطية عقلانية في مواجهة الواقع السياسي التونسي ومع ذلك فلم ترض عنها الدولة، حيث عملت على إلغاء شرعيتها وطرد قادتها خارج الوطن، وبالتالي خلصت الدولة إلى إزاحة الإسلاميين وفرض قيود شديدة لعودتهم إلى الساحة خوفاً من مستقبل ينبئ بتفجر عنف ضد النظام وفرض مكانتهم في الساحة

---

1) د. راشد الغنوشي : الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٣٩- ٣٤١.

السياسية. وهكذا أقصت الحكومة التونسية أبجدية الحوار الديمقراطي بينها وبين قوى المعارضة الإسلامية.

الجزائر:

كانت الجزائر تعرف "بالمغرب الأوسط" حتى عهد العثمانيين في مطلع القرن العاشر الهجري، وفي أول القرن السادس عشر ١٥٠٩م هجم الأسبان على موانئ الجزائر "وهران والمرسى الكبير" ولذا كان مجيء العثمانيين إلى شمال أفريقية عام ١٥١٥م لإنقاذها من الغزو الأوروبي، وعملت على توحيد البلاد من جديد. وأصبحت الجزائر عاصمة الولايات العثمانية في شمال أفريقية ويحمل الحاكم لقب "البيلربك" أي رئيس البكوات، إلى أن انفصلت تونس عنها عام ١٥٩٠م، وأصبح يحكمها "داي" يتصل بالأستانة مباشرة.

وسيطر الجند والبحرية سيطرة تامة على نيابة الجزائر، وكان الجند يختارون من يمثلهم ثم يبعثون للسلطان العثماني لإصدار قرار التعيين، واستمر هذا النظام من ١٥١٦- ١٥٨٨م، وبعد ذلك بدأت الدولة العثمانية تقوم بتعيين والي لمدة ثلاث سنوات حتى عام ١٦٥٩م عندما فرض الجند نفوذهم من تنصيب أحد أعضائه حاكماً فعلياً للولاية ويلقب بالداي على نمط النظام المتبع في تونس منذ الانقلاب الذي أحدثه الإنكشارية بها عام ١٥٩٠م[1].

وفي عام ١٦٧٢م وضع رؤساء البحر حداً لسيطرة الإنكشارية وفرضوا أحد رجالهم على مجلس الجند ولقب "بالداي" واستمر حتى عام ١٨٣٠م بقدوم الاستعمار الفرنسي[2].

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص٣٨٠.

2) نفس المرجع : ص٣٨٢.

وارتكب الاستعمار الفرنسي جرائم القتل والنهب وهتك الأعراض ضد السكان الجزائريين من جراء المقاومة الجزائرية، ويمكن القول إن السياسة الاستعمارية في الجزائر مرت بمرحلتين اثنتين : الأولى : عمل على تحطيم النظام الاقتصادي والاجتماعي للأهالي، والمرحلة الثانية : حاول إدماج الجزائر بفرنسا "وكرد فعل على هذه السياسة فإن الأيديولوجيا الوطنية تحولت هي الأخرى من إصلاحية إلى ثورية، حيث تحول الصراع إلى تناقض أساسي بين المستعمِر، والمستعمَر أخذ في ما بعد شكل نضال مسلح أدى في نهاية المطاف إلى استقلال الجزائر، وذلك بعد حرب ضروس تعتبر من أكبر الحروب الدموية في العصر الحديث"[1].

بدأ النضال إسلامياً جهادياً تزعمه الأمير عبد القادر، والذي بدأ عام ١٨٣٢م عندما منحه العلماء وزعماء القبائل بيعتهم واعترافهم به أميراً لهم، وفي عام ١٨٣٤م عقد مع السلطات الفرنسية اتفاقية اعترفت له فيها بسلطته على المناطق الداخلية في غرب الجزائر.

وفي عام ١٨٣٧م وما بعدها دعا الجزائريين في المناطق التي خضعت للاحتلال إلى الهجرة منها والإلتحاق به في المناطق التي سيطر عليها المجاهدون، وفي عام ١٨٣٩م شن المستعمر الفرنسي هجوماً كبيراً على مواقع المجاهدين بقيادة بيجو، واضطر الأمير عبدالقادر إلى اللجوء إلى سلطان مراكش، فهاجم الفرنسيون مراكش وأرغموا سلطانها على توقيع اتفاقية تقضي بطرد الأمير عبدالقادر من مراكش.

في نفس الفترة ادعى الشيخ بو معزة أنه المهدي المنتظر، وعمل على إقلاق الفرنسيين، فانفك الحصار على الأمير عبد القادر، مما جعله يقوم بجمع

---

1) د. صالح فيلالي : إيديولوجيا الحركة الوطنية الجزائرية في (سليمان الرياش وأخرون)، ندوة حول : الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٩.

قواته ليستأنف الجهاد، وفي عام ١٨٤٧م سقط بيد الفرنسيين أسيراً، فتم نفيه إلى باريس واستمر حتى عام ١٨٥٢م ثم نقله الفرنسيون إلى دمشق للإقامة الجبرية هناك حتى توفي عام ١٨٨٣م.

لم تتوقف حركة المقاومة الإسلامية بنفي الأمير عبدالقادر، فقد ثار قائد جزائري آخر هو "سيدي مكراني" في منطقة القبائل عام ١٨٧١م وحركة الشيخ بو عمامة في جنوب وهران عام ١٨٨١م، ثم كانت جمعية العلماء بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس من (١٨٨٩ ـ ١٩٤٠)، وكثفت جهودها على إصلاح الجانب التربوي والتعليمي، ومحاربة البدع والخرافات ومحو الأمية، ونشطت في تأسيس المدارس العربية الحرة في معظم أنحاء البلاد رغم محاربة السلطات الفرنسية لها، وكان التعليم في مدارس الجمعية مخصصاً بالنهار للأطفال وبالليل للكبار في نطاق برنامج طموح لمحو الأمية، وبهذه الطريقة تعلمت أعداد كبيرة من الرجال والنساء القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي .

كان الهم الأكبر لابن باديس هو إعداد جيل يؤمن بحتمية الاستقلال للجزائر فكانت ثورة ١٩٥٤م كان قادتها قد تربوا في مدرسة ابن باديس، واستمرت الثورة حتى عام ١٩٦٢م، وهو عام الاستقلال بعد حرب ضروس استشهد فيها من الجزائريين مليون ونصف مليون شهيد، وتوحدت جهود الثوار في "جبهة التحرير الوطني" وقد انضم إليها جمعية العلماء عام ١٩٥٦م، وكانت جبهة التحرير تضم قوى ماركسية وليبرالية وإسلامية، إلا أن الإسلاميين تم تحجيم دورهم داخل الجبهة[1].

---

1) إبراهيم البيومي غانم : الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة الديمقراطية، القاهرة، أمة برس للإعلام والنشر، ط١، ١٩٩٢،ص٢٠.

في عام ١٩٦٤م تأسست جمعية إسلامية باسم "جمعية القيم" وأصدرت مجلة باسم "التهذيب الإسلامي" وكانت هذه الجمعية متأثرة بأفكار الإخوان المسلمين، ويتزعم الجمعية "الشيخ الهاشمي يتجاني"، وتلقى "جمال عبدالناصر" برقية شديدة اللهجة من الجمعية عام ١٩٦٦م بسبب إعدام "سيد قطب"، وشكى عبد الناصر جمعية القيم لهواري بو مدين الذي عمل على تجميد نشاطها في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٦م، ثم حلها نهائياً في ١٧ مارس ١٩٧٠.. وانتهج "بو مدين" سياسة يسارية حيث عمل على تأميم الأراضي الزراعية.. ففي عام ١٩٧١م أصدر "قانون الثورة الزراعية" الذي يقضي بانتزاع الأرض من المواطنين بحجة الحد من الملكية الفردية بحيث لا تزيد ملكية العائلة الواحدة عن سبعة هكتارات، وما زاد عن ذلك يوضع تحت تصرف الصندوق الوطني للثورة الزراعية[1].

في عام ١٩٧٦م جرت مناقشات حول مشروع جديد لتعديل الميثاق على نحو يتعارض مع بعض القواعد الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية وقانون الأسرة، أدى ذلك إلى معارضة أحد أعضاء جمعية العلماء هو الشيخ عبد اللطيف سلطاني، وألف كتاباً بعنوان "المزدكية أصل الاشتراكية"، وتم توزيعه بشكل سري وهاجم بومدين وحكومته، كما نشر كتابين خلال السبعينات هما كتاب "دفاعاً عن الإيمان الإسلامي"، وكتاب "سهام الإسلام".. وأبرز الشخصيات الإسلامية المعارضة كان الشيخ "محفوظ نحناح" الذي حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، قضى منها خمس سنوات وأفرج عنه عام ١٩٨١م مع من تم الإفراج عنهم من الإسلاميين في بداية عهد الرئيس الشاذلي بن جديد[2]. كان بومدين يرغب تعبئة العامل الديني لخدمة سياسته

---

1) نفس المرجع : ص٢٢.

2) إبراهيم البيومي غانم : الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة الديمقراطية، مرجع سابق، ص٢٣.

الاشتراكية، وعندما فشل في إرضاء الإسلاميين اتخذ سياسة القمع والإرهاب ضدهم.

جاء عهد بن جديد بمجيء الثورة الإسلامية الإيرانية، وصعود الحركة الإسلامية في بلدان أخرى كإفغانستان التي أعلن فيها الجهاد ضد الغزو السوفييتي لها عام ١٩٧٩م، كانت هذه أحد العوامل الخارجية التي هيأت ولادة تيارات إسلامية في الجزائر. وبدأ المشروع الإسلامي يشكل هاجساً كبيراً للمثقفين الإسلاميين من الشباب والذين أكدوا رفضهم للحلول المستوردة سواء كانت ليبرالية غربية أو اشتراكية، بعد وفاة بو مدين عام ١٩٧٨.. "وكان لابد أن تحدث سلسلة من المصادمات وأعمال العنف بين السلطة والتيارات العلمانية من ناحية، والإسلاميين الذين بدأوا ينتظمون في مجموعات متفرقة من ناحية أخرى"[1].

في عام ١٩٨٠م وقعت اشتباكات بين الطلبة الإسلاميين واليساريين في الجامعات وحاول الإسلاميون منع الطالبات من الاختلاط بالطلبة كما حاولوا إغلاق عدد من الفنادق والملاهي والمحلات التي تقدم الخمور[2].

وفي الفترة من ١٩٨٠- ١٩٩٠ سيطرت الجماعات الإسلامية على المساجد التابعة لوزارة الشؤون الدينية، كما شكلت المساجد قاعدة شعبية للعمل الإسلامي في كل أنحاء البلاد، ووجه الإسلاميون من على منابرها الانتقادات الحادة للتوجهات الوافدة من الغرب وكذا للسلطة الحاكمة. كما انتقدوا مظاهر الفساد والرشوة والمحسوبية والتي انتشرت بعد وفاة "بومدين".. واستفاد الإسلاميون من قانون صدر عام ١٩٧١م يسمح بإنشاء جمعيات خيرية.. وفي الفترة من ١٩٧١- ١٩٧٨م تم إنشاء ما لا يقل عن أحد عشر ألف

---

1) نفس المرجع : ص٢٤.

2) نفس المرجع : ص٢٤.

جمعية خيرية، يرتبط معظمها بالمساجد في حين يهتم عدد قليل منها بالشؤون الرياضية.

وتعد سنة ١٩٧٢م سنة حاسمة في بروز التيار الإسلامي في الجزائر، حيث تم عقد أول تجمع كبير للجمعيات الإسلامية في كل أنحاء الجزائر بمسجد جامعة الجزائر برعاية "عبداللطيف سلطاني" و"أحمد سحنون" وآخرين من القيادات البارزة، وتقدم المجتمعون بطلبات منها طلب بوضع حد صارم للتأثيرات الغربية في الجزائر. وأن يحل القرآن الكريم محل الميثاق العلماني، وتقام دولة إسلامية.

وعلى إثر ذلك تم اعتقال عدد من المشاركين في المؤتمر كان منهم "الدكتور عباس مدني" ولم يفرج عنه إلا في عام ١٩٨٤، وفي عام ١٩٨٢م فاز الإسلاميون في انتخابات اتحادات الطلبة بجامعة الجزائر، وحاول الطلاب الشيوعيون الاعتداء عليهم والتشكيك في نتيجة الانتخابات فقامت الشرطة باعتقال أربعمائة طالب من الإسلاميين، فتجمع بالعاصمة الجزائرية نحو مائة ألف متظاهر بعد صلاة الجمعة للمطالبة بالإفراج عنهم فاستخدمت الشرطة أسلوب القمع ضد المتظاهرين[1] فاتجه الإسلاميون إلى أعمال العنف كرد فعل، وقاد هذا الهجوم أحد الجماعات الإسلامية هو "مصطفى بو يعلي" ـ كان ضابطاً سابقاً في الجيش ـ وبدأ الهجوم على ثكنات عسكرية عام ١٩٨٢م، وتلا ذلك في عام ١٩٨٥م وعام ١٩٨٦م في مهاجمة كلية الشرطة بولاية البليدة، وسقط مصطفى يعلي مع ستة آخرين من رفاقه قتلى برصاص الشرطة في مطلع عام ١٩٨٧م .

بعد مقتل مصطفى بو يعلي بدأت الحكومة الجزائرية تعيد النظر في مسألة النفوذ الإسلامي في البلاد، ومحاولة تجريدها من النفوذ السياسي..

---

1) نفس المرجع : ص٢٥.

لذلك أنشأت الدولة مجلساً للإسلام يترأسه عضو من الحكومة مهمته الرقابة على نشاط الجماعات الإسلامية وتحجيمها، وقد تميز المشروع الإسلامي بالجزائر بالآتي:

ـ إعادة الاعتبار لدور الدين الإسلامي في إدارة المجتمع والدعوة إلى إحياء العقيدة.

ـ السعي الحثيث لإقامة دولة إسلامية تعمل على تطبيق مبادئ الدين وأحكامه.

ـ القبول بمنطق التعايش في إطار التعددية والشورى[1].

وبدأت الحكومة تعمل على إعادة ترتيب أوراقها السياسية، وهو ما حدث في عهد الشاذلي بن جديد الذي وعد بديمقراطية متعددة الأحزاب، وصدر الدستور الذي تم استفتاء عليه في فبراير ١٩٨٩م، ونصت المادة "٣٩" منه على أن "حرية التعبير وإنشاء الجمعيات والاجتماع مضمونه للمواطن". كما نص في المادة "٤٠" على أن : "حق إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي معترف به"[2]. وعلى هذا تقدمت الجماعات الإسلامية والتي تعددت مشاربها الفكرية بطلبات الترخيص لها كأحزاب سياسية، وظهر أول حزب إسلامي هو : "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" بزعامة الدكتور عباس مدني، ثم تلاه حزب "حركة النهضة الإسلامية" بقيادة الشيخ محفوظ نحناح.

تأسست الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مارس ١٩٨٩م، وحصلت على ترخيص رسمي في سبتمبر من العام نفسه وضمت الجبهة عدة تيارات إسلامية مثل التيار السلفي وجماعة الجهاد أو جماعة التكفير والهجرة كما يسميها

---

1) منعم العمار : الجزائر والتعددية المكلفة، في "سليمان الرياشي، وآخرون" في : الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط٢، ١٩٩٩،ص ٦٨.

2) انظر : دستور جمهورية الجزائر الصادر عام ١٩٨٩،ص١٣.

النظام الحاكم.. وتميز الخطاب السياسي للجبهة بالقوة والراديكالية بما يتفق مع ميول ورغبات قطاعات واسعة من جماهير الشعب، ويدل ذلك على ضخامة عدد المنخرطين في عضويتها.. ومع ذلك فالجبهة من الداخل تعد غير موحدة الرؤى من حيث التجانس الفكري، والمتفق عليه بين هذه الجماعات هو إقامة دولة إسلامية.. ويوضح ذلك الخلاف في الخطابين السياسيين بين عباس مدني وعلي بلحاج، فالأول يقر التعددية السياسية في إطار قواعد الممارسة الديمقراطية بينما الآخر يعلن رفضه للديمقراطية ومساواتها بالكفر.

ومن الطريف جداً في هذا الإطار، عندما أعلنت الدولة فتح باب التراخيص للأحزاب السياسية كان "بلحاج" يرفض رفضاً قطعياً تقديم طلب ترخيص من الدولة التي هي بنظره غير شرعية، وبعد جهد جهيد قبل تنظيمه الجهادي تقديم الطلب من باب الحرص على سلامة الحركة.. ويتكون الهيكل التنظيمي للجبهة من "مجلس الشورى" و"مكتب تنفيذي" على مستوى البلديات والولايات، ويضم مجلس الشورى ثلاثين عضواً يمثلون معظم ولايات الجزائر، أما المكتب التنفيذي فهو يمثل القيادة السياسية للجبهة، ويقوم مجلس الشورى بانتخاب أعضاء المكتب التنفيذي أضف إلى ذلك عدد كبير من اللجان الفنية المختصة بالشؤون المالية والإدارية والإعلامية والدعوية..إلخ.

وتم انتخاب الدكتور عباس مدني[1] رئيساً للجبهة، وعلى بلحاج[1] نائباً له.. ويعالج البرنامج السياسي لجبهة الإنقاذ الإسلامية[2] كمشروع سياسي

---

1) عباس مدني من مواليد عام ١٩٣١ بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة، بدأ تعليمه في الكتاتيب القرآنية والزوايا، ثم المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، ثم انخرط في الحياة السياسية فكان عضواً في منظمة سرية مناهضة للاحتلال الفرنسي، وهي المنظمة التي انبثق عنها جبهة التحرير الوطني، والتحق بها عام ١٩٥٤م، وتم القبض عليه بعد فشل خطة الهجوم على الإذاعة الجزائرية عام ١٩٥٤م، ولم يتم خروجه من السجن إلا بعد حرب

قضايا عددة أهمها : الإطار العقائدي الإسلامي، والسياسة والاقتصاد والاجتماع، والجانب الثقافي والحضاري والإعلامي، والجيش والسياسة الخارجية. وفي نفس المسار برزت حركة النهضة الإسلامية ثاني حزب إسلامي تم الاعتراف به رسمياً في ديسمبر ١٩٩٠م بزعامة الشيخ جاب الله من مواليد ١٩٥٦م ـ ولاية سكيكدة ـ ويعد حزبه فرعاً لجماعة الإخوان المسلمين بالجزائر.. ويقول زعيم الحزب في معرض حديثه عن حزبه : "نحن نؤمن بتبني منهج الإخوان المسلمين في النشأة والظروف من حيث القيام أساساً على الفكر التربوي والسير المتدرج المبني على فقه الأولويات وفقه الموازنات".

ويدعو حزب النهضة إلى اتخاذ الشورى منهجاً وأسلوباً في الحكم، وإعلان مبدأ السيادة لشرع الله والسلطة للشعب يمارسها في حدود الشرع.

ويلي ذلك "حركة المجتمع الإسلامي ـ حماس"، وحصلت على الاعتراف في فبراير ١٩٩١م، ومؤسسها الشيخ محفوظ نحناح ـ من مواليد ١٩٤٢ مدينة البليدة – وبرنامجه الحزبي يتضمن المحددات التالية:

١ ـ رفض التوجه التغريبي ومحاربته.

التحرير وانتصار الثورة عام ١٩٦٢م، وبعد ذلك تابع دراسته فحصل على شهادة في الفلسفة ثم على الدكتوراه من الدرجة الثالثة في التربية ثم دكتوراه الدولة من جامعة لندن في التربية المقارنة وأصبح أستاذاً في جامعة الجزائر. ثم بدأ في شجب ما أسماه انحراف جبهة التحرير عن أهدافها، وبرز كزعيم سياسي في عهد الشاذلي بن جديد ١٩٨٢م.

1) الشيخ علي بلحاج، من مواليد عام ١٩٥٦م وأصله من الصحراء الجزائرية من ولاية أدرار، لكنه ولد في تونس ونشأ يتيم الأبوين، فقد استشهد والده في حرب التحرير الجزائرية، وكفله خاله، وقد تأثر بمدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، والشيخ البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عدوة، وسعيد حواء، واشتهر بموهبته الخطابية، ونتيجة لذلك فقد سجن خمس سنوات من ١٩٨٣- ١٩٨٧م.

2) انظر : البرنامج السياسي لجبهة الإنقاذ، إعداد وتوثيق مؤسسة يافا للدراسات والأبحاث، ط١، ١٩٩١،ص٨.

٢ ـ رفض الفجائية والعنف.

٣ ـ شعاره الإسلام هو الحل.

٤ ـ يدعو الحزب إلى العناية بالمرأة ومنحها كل الحقوق المفروضة في الإسلام....إلخ.

من جهة أخرى بدأت الأزمة الجزائرية بين الجيش والإسلاميين بعد الانتخابات المحلية في يونيو ١٩٩٠م، ثم الانتخابات البرلمانية التي لم تكتمل في ديسمبر ١٩٩١م، شارك في الانتخابات البلدية "أحد عشر حزباً" وجرت المنافسة على مقاعد البلديات، وتفوقت جبهة الإنقاذ على جبهة التحرير ـ الحزب الحاكم ـ وبدأت الحكومة بالتعاضد مع العلمانيين يشنون حملة إعلامية على جبهة الإنقاذ التي ستقضي على الديمقراطية.. وكان "علي بالحاج" هو السبب بهجومه على الديمقراطية.. وجرت أعمال عنف.. وحتى مجئ الانتخابات البرلمانية في يونية ١٩٩١م بدأت الجولة الأولى واكتسح الإسلاميون أغلبية المقاعد.. وعلى الرغم من حصول الجبهة على ٢٦ مقعداً في البرلمان في المرحلة الأولى، بعد جبهة التحرير، إلا أن جبهة التحرير رفضت الاعتراف بالفوز الذي حققته جبهة الإنقاذ.

في الوقت ذاته أعلن رئيس الجمهورية فجأة تنازله عن السلطة، وأدانت الجبهة الإنقلاب العسكري الذي أطاح بين جديد، وجيء بمحمد بوضياف إلى الحكم، وأوقفت الدورة الثانية، وأعلنت الحكومة حالة الطوارئ لمدة أربعة أشهر، وانتشر الجيش في العاصمة وفرض حضر التجول فيها، وفي ثلاث محافظات أخرى.. وفي يوم ٢٥ يونيو اندلعت أعمال العنف التي صنعها الجيش والقضاء على الديمقراطية[1].

---

1) إبراهيم البيومي : مرجع سابق، ص٦٦- ٧١، انظر أيضاً : منعم العمار : الجزائر والتعددية المكلفة، مرجع سابق، ص٦٩.

وبنجاح جبهة الإنقاذ كان الصبر قد فقد لدى العسكريين وبدأت حلبة الصراع بين أنصار الإسلام والتوجه الإسلامي وبين العسكريين العلمانيين وأنصارهم. فهل ستعود الديمقراطية لتسكت أفواه البنادق؟

التيارات الإسلامية في المغرب:

تعرضت مراكش منذ النصف الثاني من القرن ١٣م للاستعمار الأسباني ثم نافستها فرنسا على مدينة طنجة، وفرض محاكم قنصلية وحماية على مراكش، وفي الثامن والعشرين من حزيران ١٩٠٠م اتفقت فرنسا وأسبانيا على الأجزاء الجنوبية من مراكش فنالت أسبانيا "الصحراء الغربية" وأخذت فرنسا "موريتانيا" وكانت مراكش قد خسرت "أفنى" منذ عام ١٥١٠م، وكان سلطان مراكش مهتماً بعرشه فقط على حساب شعبه، وسمح للفرنسيين بفرض حماية على مراكش وبعض المدن المغربية، فثار السكان على السلطان في فاس في ١٧ و١٨ نيسان ١٩١٢م، وطردوا الحماية الفرنسية منها، لكنهم عادوا من جديد لاحتلالها بعد أسبوعين، فتنازل السلطان عبد الحفيظ لأخيه يوسف في ١٨ آب ١٩١٢م، ولجأ إلى طنجة، ثم خضعت البلاد كلها للاحتلال الفرنسي عام ١٩١٧م.

وبرز الأمير عبد الكريم الخطابي في ثورة ضد الاستعمار الفرنسي، ولقي حتفه عام ١٩٢٠م، وخلفه ابنه محمد والذي هاجم الاستعمار الأسباني في أغادير، وطاردهم حتى حصن "مليلة"، وخسر الأسبان خمسة عشر ألف قتيل، وبالتعاضد بين الأسبان والفرنسيين تم الضغط على الخطابي في حصار شديد وتم القبض عليه ونفيه إلى جزيرة رينون في المحيط الهندي[1].

وفي الحادي عشر من كانون الثاني ١٩٤٤م اجتمعت الأحزاب الوطنية المغربية، اتخذت ميثاقاً تضمن الأهداف الجديدة للمغرب وهي :

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق،ص٤٢٨.

١- المطالبة بالاستقلال التام ووحدة الأراضي المغربية.

٢- إقرار الملكية الدستورية نظاماً للحكم.

٣- التعاون بين الملك والشعب على تحرير البلاد وتحقيق الإصلاح المنشود بصفته أمراً داخلياً لاحق للفرنسيين التدخل في أمره"[1].

ولم يتقبل الاستعمار الفرنسي طلبات التنظيمات السياسية للأحزاب، وأثيرت قضية المغرب على الصعيد الدولي في الخريف من عام ١٩٥٢م، وعرضت كتلة الدول الإسلامية الأفريقية قضية المغرب على هيئة الأمم المتحدة إبان اجتماعها في باريس، إلا أن الجمعية العمومية قررت تأجيل النظر في القضية. وطالب السلطان بالغاء الحماية على المغرب، فقامت فرنسا بدفع أكثر من (٢٧٠) شخصاً من أعيان مراكش لتوقيع عريضة (أواخر عام ١٩٥٣) طالبوا بخلع سلطان مراكش لمعارضته للإصلاحات، وتم خلعه ونفيه إلى (كورسيكا) ثم إلى (مدغشقر) ونصب محمد بن عرفة سلطاناً على المغرب.

وتحت ضغط الرأي العام الدولي والمقاومة الداخلية، تراجعت فرنسا عن موقفها، فأعادت السلطان المنفي إلى عرشه بعد عامين من الصراع المرير، وتم توقيع اتفاق بين السلطان محمد وفرنسا على منح مراكش الاستقلال وإقامة ملكية دستورية بها. وبعد شهر صدر بيان أسباني مغربي مماثل، وفي العشرين من آيار ١٩٥٦م استعاد المغرب حريته السياسية. وأصبح عضواً في الأمم المتحدة.

واهتم السلطان محمد بن يوسف الخامس بإنشاء جيش قوى وتعريبه، واهتم بالتعليم والقضاء، وإلغاء القواعد الأمريكية والفرنسية الموجودة في البلاد، وتم ذلك ما بين (١٩٦٣ ـ ١٩٧١م)، وتوفي الملك محمد في ٢٦ من شباط

---

1) نفس المرجع : ص٤٣٧.

١٩٦١م، وخلفه ابنه الملك الحسن الثاني الذي تم في عهده جلاء الأمريكيين والفرنسيين.. وخسرت المغرب مدينتي (سبته ومليلة) لصالح الأسبان، واقتطع منها "موريتانيا" ، واستقلت بكيان مستقل، كما نشأت أزمة الصحراء الغربية منذ عام ١٩٧٦م ومازالت قائمة.

في عام ١٩٧٠م ظهرت في المغرب " جمعية الشبيبة الإسلامية "إلا أن أبرز فصيل هو الجماعات الإسلامية، ويتزعمها "عبد القادر ياسين" والذي بعث برسالة مفتوحة عام ١٩٧٣، إلى ملك المغرب، الإسلام أو الطوفان[1].

ومع ذلك فالحركة الإسلامية في المغرب محدودية الهامش الذي يتحرك ضمنه الإسلاميون، وتركت السلطة مجالاً للتعايش مع أنماط التدين من صوفية، وسلفية، وحركية، والمؤسسات الدينية غير التقليدية. ولقد كان الهم الأساسي هو تغييب اللغة العربية، لأن الاستعمار الفرنسي في المغرب سار بالتعليم وجهة التعدد والاختلاف في المدرسة.. فجعل مدرسة للبادية ومدرسة للمدينة، وسعى بمختلف الوسائل إلى تغييب اللغة الوطنية.. وكان على الإسلاميين بحكم اهتمامهم باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم إعادة النظر في مسألة برنامج التعريب، بمعنى عودة الهوية العربية للمغرب، واتسمت الحركات الإسلامية في المغرب بالسكينة والهدوء، لذلك لا يوجد فيها أعمال شغب أو عنف، ربما يعود ذلك لقدرة الدولة في كبح جماح الجماعات الإسلامية، أو أن المشروع السياسي الإسلامي في المغرب لم يكتمل بعد.

الدور الحركي للجبهة الإسلامية القومية في السودان:

في عام ١٩٥٦م احتفلت السودان باستقلالها وقيام النظام الجمهوري فيها، وبادرت مصر وبريطانيا إلى الاعتراف بالجمهورية المستقلة في اليوم نفسه،

(1 F. Bugat, L, Lslamisme au Maghreb (paris :Karthala, 1988).p.p 182-201.
نقلاً عن : عبداللطيف الهرماس : الحركات الإسلامية في المغرب العربي، عناصر أولية لتحليل مقارن، المستقبل العربي، (عدد١٥٦) ١٩٩٢/٢،ص١٩.

وأصبحت عضواً في الجامعة العربية، و الأمم المتحدة في العام نفسه. وكان الحزبان الرئيسيان المتنافسان هما حزب الأمة، والحزب الاتحادي الديمقراطي....

و أول رافد للحركة الإسلامية يعود إلى عام ١٩٤٤م بعد زيارة وفد مصري حيث انتهت الزيارة بتكوين أول لجنة للإخوان المسلمين، وكان في الحركة تيار يسعى للاستقلالية عن إخوان مصر، والتجارب مع مناخات الحركة الوطنية السودانية، لذلك فضل البعض تسمية "حركة التحرير الإسلامي" عوضاً عن اسم "الإخوان المسلمين"، وفي اجتماع هام عقد في أغسطس ١٩٥٣م، حددت الحركة خطها السياسي والفكري حين وصف المجتمعون أنفسهم "بأنهم حركة تحرير وليسوا إخوان مسلمين، ومنحازون للعمال والطلاب والفلاحين"[1]. إلا أن مؤتمر الحركة الإسلامية الذي عقد عام ١٩٥٤م اختار اسم "الإخوان المسلمين" بدلاً عن "حركة التحرير الإسلامي".

بعد ثورة أكتوبر (نوفمبر ١٩٦٤) تغير اسمهم إلى "جبهة الميثاق الإسلامي" وتم اختيار الدكتور/ حسن الترابي أميناً عاماً، وفي أبريل من عام ١٩٨٥ تغير الاسم إلى "الجبهة الإسلامية القومية"[2].

في الأسبوع الأخير من آيار ١٩٦٨م أقدم الجيش على انقلاب عسكري بقيادة "جعفر النميري" وألقى القادة الحزبيين في السجن، وأعطيت رئاسة الوزارة مؤقتاً لأحد القضاة "بابكر عوض الله" ثم جرت محاولات تمرد من قبل جماعة المهدي عام ١٩٧٠م، في جزيرة "أبا" فاستعانت الحكومة بالطيران المصري الذي فتك بجماعة حزب الأمة في جزيرة "أبا" كما جرى عصيان

---

1) د. حيدر إبراهيم علي : الأحزاب السودانية واقع ومستقبل، القاهرة، مركز الدراسات السودانية، ط١،٢٠٠١،ص١٣.

2) نفس المرجع : ص١٣.

مدني في الجنوب وحصلوا من الحكومة على الحكم الذاتي عام ١٩٧١.. وفي نفس العام جرت محاولة إنقلابية على "النميري" بقيادة "الرائد هاشم العطا" كما جرت محاولة أخرى عام ١٩٧٢، وكان وراء تلك المحاولات الانقلابية الحزب الشيوعي السوداني، وانتخب النميري بعد ذلك رئيساً للجمهورية[1].

وفي ٧ تموز ١٩٧٧م جرت لقاءات بين السلطة والمعارضة، وتمت المصالحة مع الإخوان المسلمين، الذين اشترطوا تطبيق الشريعة الإسلامية.. ثم انقلب النميري على الإخوان بحجة أنه اكتشف مؤامرة منهم ضده، فاعتقل البعض منهم، وأبعد آخرين في "١٠مارس١٩٨٥" ويرى الإخوان أن سبب انقلاب النميري عليهم هو الإرساليات التنصيرية في الجنوب، وكذلك مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية.

وفي السادس من أبريل ١٩٨٥ قام وزير الدفاع السوداني "عبدالرحمن سوار الذهب" بانقلاب أطاح بالنميري، وسيطر الجيش على الحكم مدة سنة، ثم سلم الحكم للمدنيين، وبعد اتفاقية (كوكادام) تم تجميد قوانين الشريعة الإسلامية حسب اقتراح حزب الأمة، وجرت انتخابات تفوق فيها حزب الأمة، والذي شكل حكومة ائتلافية، وفي ٣٠ حزيران ١٩٨٩ قاد الجيش حركة انقلابية بقيادة العميد عمر حسن البشير وتسلمت الجبهة الإسلامية الحكم[2].

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق،ص٣٠٩.

2) نفس المرجع : ص٣٠٩.

ويشير "الترابي"[1] إلى أن الحركة الإسلامية السودانية جاءت من مصر باسم "الإخوان المسلمين" وطرح تصوراً للدين شاملاً وحركياً ونموذجاً لجماعة المتدينين، القائمة على تنظيم الصف، وكان التعبير عن الدين قائماً على الأصول الكلية الواحدة، ولذلك تيسر للنمط أن يعبر الحدود والظروف الإقليمية المصرية إلى السودان، ويضيف إلى أن الرافد العالمي لحركة السودان ورد من مصادر غير مصرية، فقد استرفدت الحركة بأفكار المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، وبالكتابات الإسلامية القادمة من المغرب والمشرق العربي.

وتجمد نشاط الحركة الإسلامية بمصر وغالب البلاد العربية نتيجة ظروف سياسية في سنوات إلخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، أدى ذلك إلى تخلف الحركة في مواقع عالمية أخرى لصالح تيارات يسارية ووطنية بينما ظلت الحركة في السودان حية تنمو[2].

يرى الترابي : " أن الدين توحيد بين المثال المطلق والواقع النسبي، فالمثال ترسمه التعاليم والتكاليف الشرعية، التي يخاطب بها الإنسان، والواقع هو الابتلاءات المادية والظرفية التي تحيط بدنيا الإنسان. والتدين هو إيمان نفسي بمثال الحق المطلق.. ويضيف إلى أن كثيراً من أبناء المسلمين بسبب من ضغوط التعليم والترقي الاجتماعي انخرطوا في ملل غير إسلامية أو ذابوا في

---

1) د. حسن الترابي : من مواليد مدينة كسلا بالإقليم الشرقي بالسودان عام ١٩٣٢م، حفظ القرآن الكريم ببضع قراءات، تلقى تعليمه الأولى بالمدارس السودانية الحكومية، درس القانون في كلية القانون جامعة إلخرطوم، حصل على البكالوريوس في القوانين من جامعة لندن عام ١٩٥٥م، والماجستير عام ١٩٥٧.. درس نحو أربع سنوات في جامعة باريس وحصل على الدكتوراه في القانون المقارن عام ١٩٦٤م.

2) د. حسن الترابي : البعد العالمي للحركة الإسلامية التجربة السوادينة، تحرير وتقديم : د. عبدالله النفيسي في "الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٨٩،ص٧٦ ومابعدها.

الحضارة الغربية، "والحاجة اليوم شديدة لاتخاذ استراتيجية مشتركة لمجابهة هذا التحدي الذي لا تجدي معه الصدقات والمشروعات المحدودة".

وبشأن المرأة يقول : "إن المرأة المسلمة تحكمها التقاليد والأعراف القديمة التي تظلمها وتحبسها عن المشاركة في الحياة باسم الدين، وعلى حسابه، لذلك لا بد أن تستظهر المرأة المسلمة بقوة شرعية تضفي على مشاركتها الشرعية وترشدها، وتضبطها في الوقت ذاته".

كذلك " إن البناء الديني يقوم على الإخلاص والاختيار الطوعي، ولا يمكن للقوة فضلاً عن العنف أن تكون أداة لتحقيق هذا البناء".. وإن الصحوة الإسلامية ظاهرة تاريخية دورية، وهي تيار فكري جماهيري سائراً"[1].

ويضيف، أنه لا بد للنهوض من استكمال شروط اليقظة الروحية، والصحوة الفكرية، والنهضة الحركية، وبذلك نكون قد استكملنا توبتنا من ماضي الانحطاط، واستقبلنا توجهنا نحو دورة حضارية تتقدم بالمسلمين نقدمها إلى العالم أجمع. إلا أن المناخ السياسي القهري شغل الصحوة الإسلامية بأصل وجودها، وصرفها عما وراء ذلك، وحرمها من الحرية التي هي شرط النشأة، والحياة، والتطور لكل صراع فكري منزل على الواقع. وحال بينها وبين الحوار الداخلي والخارجي .

ويشير إلى أن حكومات المسلمين مدعوة بحق الدين وبالمصلحة في الاستقرار السياسي، إلى أن تتخذ سياسة أرشد نحو الإسلام، وألا تلجئ الإسلاميين إلى الصراع السلبي.. وأن الدول الاستعمارية مدعوة كذلك أن تتعقل لأنها لن تستطيع مغالبة التطور الإسلامي المتقدم، وقد تضره قليلاً

---

1) كتاب الأمة : فقه الدعوة ملامح وآفاق، ط٢، حوار مع الدكتور/ حسن الترابي فقه المرحلة، قطر، ط١، ذي الحجة ١٤٠٨،ص١٤ ومابعدها.

بمصادمته المباشرة أو بإغراء حكومات المسلمين به، لكن الأمر في النهاية سيؤدي إلى تصاعد الجهاد.. وأن الديمقراطية إذا طرحت بشكل صحيح فإن غالبية الشعب سوف تجنح نحو الإسلام لأن الشعوب مسلحمة بفطرتها، لذلك فإن المؤامرات لإقامة أنظمة عسكرية أو قهرية، القصد منها سد الطريق أمام الشعوب المسلمة بشريحة مغتربة عنها[1].

ومن الملفت للنظر أن "المفكر الترابي" شخصية مختلفة عن مفكري الجماعات الإسلامية الأخرى، فهو متحرر فكرياً، وله ذهنية فقهية لا يوجد مثال له في الساحة العربية والإسلامية، فهو يرى أن الواقع العربي اليوم بحاجة إلى فقه الصحوة التوحيدي، أن يعقد حواراً مع مذاهب القومية العربية التي تتجه أيضاً نحو الوحدة على الرغم من أن المناظرة كانت في الماضي سلبية، فالدعوة القومية مهما انفعلت بعض أطروحاتها بالأصل العرقي أو الثقافي أو تأثرت بالحضارة الغربية المهيمنة فغالب المؤمنين بها شعوب تعبر عن فطرة القربى العربية ولا تتخذها خصماً لدينها بل تتحد بها مع دينها، وبعض دعاتها وصلها بالإسلام صراحة لاسيما في الآونة الأخيرة.

والواقع العربي بحاجة لتوحيد القومية إلى الدين "فالعاطفة القومية مهما دعمتها المضامين المبهمة التي تطرح الآن لا تقوى وحدها على فعالية أهواء الفرق الإقليمية والسياسية ومكائد التفريق الإمبريالية"، وإخفاق مشروعات الوحدة الكثيرة، شاهد على قصور دافع التوحيد القومي، إلا أن يعزز بدافع التوحيد الديني الفعال[2].

هذه التصورات التي يؤمن بها الدكتور الترابي تعطي انطباعاً تجديدياً للحركة الإسلامية في السودان فيما لوعممت ستكون تجربة ناجحة في

---

1) المرجع السابق، مقابلة مع د. الترابي،ص١٦ وما بعدها.

2) نفس المرجع : ص١٧.

مجال فقه الدعوة ، ونقلة نوعية متميزة في فهمها للواقع وقدرتها على قراءة الظروف السياسية للعالم العربي المعاصر.

مما سبق يمكن القول : إن ظاهرة الصحوة الإسلامية في العالم العربي تتميز بالتنوع بين التقليد الأيديولوجي الاعتقادي بقضايا التصحيح الدعوي وفقاً لمقولة اللامذهبية في الإسلام، وبين التجديد بين الذين يرون دعاته إلخروج من مأزق التقليد والصراع المذهبي إلى البحث عن صيغ تتوافق مع منطق العصر.. ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى الرؤى الفكرية التي نظرت إلى المنظورين التقليدي والتجديدي، فالحراك السياسي الإسلامي في اليمن أخذ بالرؤى الفكرية لتوجه الإخوان المسلمين بمصر، مع الأخذ في الاعتبار بالرؤى السلفية الوهابية في قضايا الهجوم على الحركة الصوفية، والبدع المتبعة من وجهة نظر الفكر الوهابي.

أما الرؤى الفكرية في الجزيرة العربية عموماً بما في ذلك دول الخليج ، فالأساس الفكري الوهابي هو المرجعية لكل القوى المتعددة والمتعارضة ببعض التفاصيل، إلا أن المرجع الوحيد هو فكر ابن عبد الوهاب، وابن حنبل، وابن تيمية، ومعظم هؤلاء يميلون إلى تكفير مجتمعات كاملة كالشيعة بإيران، والزيدية في اليمن، ويميل إليهم بعض جماعة من الإخوان المسلمين بمصر والخليج ، كالكويت والإمارات وقطر، أما عمان بحكم تكوينهم الفكري الإباضي فيميلون إلى حمل الناس على السلامة دون تكفير أحد، وفي البحرين فيها توجهان إسلاميان، جماعة الشيعة الإثني عشرية، وهم الأكثرية وأهل السنة ولكنهم أصحاب السلطة.

وتعكس الأحزاب الإسلامية السياسية في شمال أفريقيا النمط القبلي والفوارق المدنية بين إقليم وآخر، ففي تونس يحكم الإسلاميين الجانب العقلاني، ومع تشدد النظام ومع انتشار الشذوذ الحضاري الغربي فيها من قيم فكرية غربية، لم يكن هم الإسلاميين وخاصة حزب النهضة الإسلامية

إلا جانب الحرية الفكرية أو التعبير الحر في المعتقد، ولجأ قادتها إلى بريطانيا، أما في الجزائر فقد كان النزوع لمقاومة النظام ومازال من أجل الديمقراطية التي تسوف الدولة بتطبيقها، أدى ذلك إلى انتزاع الاستقرار.. فالعسكر المتواليون للسلطة يرفضون أبجدية حق التصويت للإسلاميين.. ويبدو أن العامل الخارج ي لعب دوراً في استمرار الصراع على حساب مقدرات الأمة.. أما المغرب العربي فقد نجحت سياسة الدولة في تدجين الإسلاميين وجعل نشاطهم سلبياً، لذلك لم يكن للعنف مكان فيها عكس ما كان في بلاد الشام وخصوصاً، فقد اتسمت الحركة الإسلامية بسمات خاصة.. وقد نشأت الحركة وفقاً لتوجه تعددي باختلاف المشارب الثقافية، إلا أن أبرز تلك الهيئات الإسلامية السياسية هي جماعة الإخوان المسلمين، والتي مارست نشاطها السياسي وفقاً للهامش الديمقراطي منذ أواخر الأربعينيات، وكان يتوقف نشاطهم بين حين وآخر بحكم الانقلابات العسكرية وتوجهاتهم السياسية. إلا أن نشاطهم كان قائماً على الفعل ورد الفعل.

وفي السودان تبلور موقفهم الإسلامي بين التنسيق مع نظام النميري عام ١٩٧٧م والإنقلاب عليهم عام ١٩٨٥م، وبعد الإطاحة بالنميري، في نفس العام عاد نشاطهم، وفي عام ١٩٨٩م تسلم السلطة عمر البشير وتحالف مع الجبهة الإسلامية القومية.. ولكنه انقلب عليهم بعد ذلك.. والسؤال المطروح : هل التيارات الإسلامية المتعددة في ساحة العمل العربي تمتلك مشروعاً موحداً في إطار العمل السياسي.. أم أنها تعيش حالة صراع داخلي وتكفير الآخر، وبالتالي تحول المشروع إلى إصلاح ديني لا سياسي؟

يمكن إعادة الاعتبار الديني كهدف تعبوي لحشد الجماهير لتقويم الإصلاح السياسي وفق المنظور الفكري الإسلامي....